الفصل الأول

- الولاء والبراء .
- المفهوم اللغوي .
- المفهوم الشرعي .
- المقتضيات ....

obeikandl.com

obeikandl.com

الولاء و البراء

مـــن رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل الرسالة المحمدية هي خاتمة الرســـالات الســـماوية ، وجعلهـــا سبحانه كاملة صافية نقية لا يزيغ عنها إلا هـــالك . وأن أصل هذه الرسالة الخالدة : كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رســـول الله » . وحقيقة هذه الكلمة : مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا ، والتصديق به عقدًا ، والإقرار به نطقًا ، والانقياد له محبة وخضوعًا ، والعمل به باطنًا وظاهرًا ، وتنفيذه والدعوة إليه في الحب في الله والبغض في الله ، وأن يكون الله جل جلاله وحده إلهه ومعبوده .

ومـــن مفاهـــيم هـــذه الكلمة العظيمة بل من أهمها موضوع « الولاء والـــبراء » وهمـــا أصـــل مـــن أصول الإسلام ، وهما مظهران من مظاهر وإخـــلاص المحبة لله ، ثم لأنبيائه وللمؤمنين . وإن البراء مظهر من مظاهر كراهـــية الباطل وأهله . وهما الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي لهذه العقيدة . ولـــن تتحقق كلمة التوحيد في الأرض إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء ، والبراء ممن يستحق البراء .

ولقـــد قامت الأمة الإسلامية بقيادة البشرية دهرًا طويلًا حيث نشرت هذه العقيدة الغراء ، وأخرجت الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومـــن ضـــيق الدنـــيا إلى سعة الدنيا والآخرة . ومن ثم ما الذي حدث : لقد

تقهقــرت هذه الأمة إلى الوراء بعد أن تركت الجهاد وزهدت فيه وهو ذروة سنام الإسلام[1] .

لقــد تبعــت الأمــم الأخرى بعد أن ركنت إلى حياة الدعة ، وتبلبلت أفكارهــا بعــد أن خلطت نبعها الصافي بالفلسفات الجاهلية . وبرزت صور مــوالاة الكفار ، واستيراد قوانينهم شرقية أم غربية وإحلالها محل شريعة الله الغــراء لهدف صلاح دنياها بذهاب دينها . وإفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق بث سموم الغزو بكل الوسائل الإعلامية المقروءة والمرئية .

إن حاجــة المســلمين ماســة إلى أن يعودوا إلى تحقيق الموالاة فيما بيــنهم ، والمعاداة مع أعدائهم ، حيث قد تداعت عليهم قوى الكفر والظلم من كــل حــدب وصوب وتنادى الجميع للقضاء على هذا الدين الحنيف بوسائلهم المختلفة ، ورميها له قاتلهم الله بالقصور والجمود ، والتعصب والتخلف . ولن يقــف فــي وجه من ينطبق عليهم « البراء » سوى اتحاد المسلمين وتلاحمهم صــفًا واحدًا ، كما قال عز من قائل في كتابه العزيز : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾[2] . فقد اقتضت حكمة الله ســبحانه ، أن يبتلي خيار هذه الأمة بشرارها و مؤمنيها بفجارها ، وهذه سنة الله التــي قــد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولله در الشاعر الذي قال :

كــل العــداوة قــد ترجي مودتها إلا عــداوة مــن عاداك في الدين

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام ، محمد سعيد القحطاني ، ص٧-١١ .

(٢) سورة الصف آية : ٤ .

يقــول فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عن الولاء والبراء في الإسلام : (فإنه بعد محبة الله ورسوله تجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه . فمــن أصــول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالــي أهلهــا ويعــادي أعدائها . فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ، ويــبغض أهل الإشراك ويعاديهم ، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه ، الذين أمــرنا بالإقــتداء بهــم ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير** ﴾[1] .

وهــو مــن دين محمد عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذيــن آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾[2] . وهذه في تحريم مــوالاة أهل الكتاب خصوصًا . وقال في تحريم موالاة الكفار عمومًا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾[3] . بل لقد حرم الله على المؤمنين موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا ، وقال الله تعالى :

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٤ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ١ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم و إخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾[1] .

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم ، حتى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى إنهم إخواننا ، ويا لها من كلمة خطيرة .

وكما أن الله سبحانه حرم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم ، قال تعالى : **﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾**[2] .

وقال الله تعالى : **﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾**[3] فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم قال تعالى : **﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك غفور رحيم ﴾**[4] . فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم أخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض)[5] .

---

(١) سورة التوبة آية : ٢٣ .

(٢) سورة المائدة الآيتان : ٦٥ ، ٥٦

(٣) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٤) سورة الحشر آية : ١٠ .

(٥) الولاء والبراء في الإسلام ، صالح بن فوزان الفوزان ص١ - ٢ . هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التوعية ، جـ١ .

الحب والبغض أو الولاء والعداء ، صفات في النفس البشرية ، ولكن يؤاخذ الإنسان على متعلقاتها . فإن وافق الحب والبغض أمر الله في ذلك أثيب الإنسان عليهما ، وإن خالف الإنسان أمر الله في صفة الحب والبغض استحق العقـــاب علـــى ذلك[١] . لأن الحب والبغض يتبعهما ذوق وإرادة وعمل عند وجود المحبوب أو المبغض . فمن اتبع ذلك بغير ما أنزل الله ، فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، بل قد يصعد به الأمر إلى الشرك فيكون ممن اتخذ إلهه هواه[٢] .

إن الإســـلام يوجـــب على المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعًا على أساس الإسلام . « الولاء والعداء » ، لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا من خلال ما تقتضيه الشريعة الإسلامية . وبناء على ذلك فقد قسم الشيخ حسن البنا رحمه الله الناس إلى أصناف هم : « مسلم مجاهد ، مسلم قـــاعد ، مســـلم آثم ، كافر محايد ، كافر محارب ، ومن ثم لايمكن أن يقوم الـــولاء وهو التناصر بين المسلم والكافر في مجال العقيدة . حيث ليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه »[٣] .

الولاية هي المحصلة النهائية لتفاعل العناصر المكونة للأمة المسلمة : أي عناصـــر الإيمان والهجرة والجهاد والرسالة والإيواء والنصرة . كما دل على ذلك أسلوب الإشارة إلى الولاية في آخر الآية التي وجهت إلى عناصر

---

(١) تعليق : الأساس أن يبغض ويحب في الله وليس أن يبغض ويحب ثم ينظر موافقة ذلك .

(٢) الموافقات في أصول الشريعة ، للشاطبي ، جـــ٢ ص١٠٧ .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جـــ٦ ص٧٦٧ .

الأمة ، قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين أووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض** ﴾[1] .

والولايـــة مصـــطلح قرآنـــي تـــردد في مئات المواضيع من القرآن والحديث ، بأمور الآخرين كلها . و « الولي » هو القائم بأمور غيره من الأمة المســـلمة بالطريقة التي أمر الله . أي إن « الولاية » مصطلح اجتماعي يعني ولاء الفـــرد المسلم للأفكار التي من خلال الإسهام مع المسلمين الآخرين في تحويـــل الأفكار المذكورة إلى تطبيقات عملية بين الأفراد الذين يشتركون في الإيمان بالأفكار الإسلامية المشار إليها . فالولاية هي الشعور بالمسؤولية في السلوك والعلاقات والحاجات ، وقيام الأفراد والمؤسسات والجماعات برعاية شـــؤون بعضـــهم البعض في الميادين المختلفة . ومن هذه الولاية والرعاية اشتقت : « أولي الأمر » و « الولاة » ، والذين يحسنون هذه الولاية والرعاية ، ويلتزمون في ولايتهم ورعايتهم لشؤون غيرهم أوامر الله وتوجيهاته .

لقد تطور مفهوم الولاية أو الولاء بتطور المجتمعات البشرية . فحين كـــان المجتمع الإنساني يتمثل في العائلة تحدد إطار الولاء بالعائلة . وحينما أصـــبح المجتمع البشري هو القبيلة تحدد الولاء بحدود القبلية . وحينما أصبح المجـــتمع البشري هو القوم تحدد إطار الولاء بحدود القومية . وحينما تهدمت الحـــدود الجغرافية والثقافية بين المجتمعات البشرية جاءت الرسالة الإسلامية بـــرباط الولاية الواسع الذي يفتح الباب لكل عضو في الإنسانية للإنضواء في عقده . إن جيل الصحابة قد جسد رباط الولاية بأوسع دوائر الولاء ، فضحوا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٧٢ .

بأنفسهم وأموالهم لإخراج الناس إلى عدل الإسلام ، وسعة الدنيا والآخرة . ثم تلتهم أجيال ارتدت إلى محاور الولاء القومي أو الشعوبي ثم إلى محاور الولاء الإقليمي ، ثم إلى محاور الولاء القبلي . فالإنسان الحاضر في بلاد الإسلام يتحدد محور ولائه لدولته وليس لديه مفهوم واضح عما يعنيه الولاء للأمة المسلمة الواحدة .

وللولايات الإيمانية في القرآن والحديث درجات متسلسلة كالتالي :

الدرجة الأولى : ولاية الله للمؤمنين قال تعالى : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[1] . والله يتولى شئون المؤمنين بإخراجهم من ظلمات الجهل ومزالق الانحراف إلى مناهج الحياة الصائبة . والمؤمنون يتولون القيام بعبادته تعالى ونشر دعوته والجهاد في سبيلها بالمال والنفس . وولاية الله هي الأصل الذي تتفرع عنه بقية درجات الولاية . فمن لم يحقق هذه الولاية بينه وبين الله لا تنفعه موالاة سواه . قال تعالى : ﴿ **وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ﴾[2] . ولذلك يجري التأكيد وتكرار التذكير ، وتتكرر الإشارة والبشارة للذين حققوها في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٥.

(٢) سورة الرعد آية : ١١ .

الدرجة الثانية : ولاية الرسل والمؤمنين وإلى هذه الدرجة من الولاية قال الله تعالى : ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا** ﴾[1] . كما قال تعالى : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[2]. فالرسل يتولون المؤمنين بالتربية والتوجيه والإرشاد . والمؤمنون يتولون الرسل بالاستجابة والإتباع والإيواء والنصرة .

الدرجة الثالثة : ولاية المؤمنين للمؤمنين ، وإلى هذه الدرجة كانت الإشارة بأمثال قوله تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات يتولون إيواء بعضهم أولياء بعض** ﴾[3] . فالمؤمنون والمؤمنات يتولون إيواء بعضهم بعضاً ، ونصرة بعضهم بعضاً ، ويأمن بعضهم بعضاً في ميادين الحياة المختلفة ابتداءً من الأسرة ومروراً بالجوار في الدائرة الإنسانية الكبرى . ومن هذه الموالاة تتحد من مفاهيم الولاية ابتداءً من ولاة الأسر وأولي الأمر من العلماء والرؤساء والخلفاء وولاة العمل إلى جميع المسؤوليات والوظائف كبرت أم صغرت .

الدرجة الرابعة : ولاية أولي الأرحام من المؤمنين ، وإلى هذه الدرجة كانت الإشارة بأمثال قوله تعالى : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين** ﴾[4] . فأولو الأرحام وذوو القربى في « أمة » المؤمنين يقومون بتولي أمور بعضهم بعضاً في شئون الحياة كلها .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٨ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦ .

(٣) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٦ .

وتقـدم مصـادر التربـية الإسلامية في القرآن والسنة تفاصيل دقيقة لأشـكال الولاية والولاء الواجب تطبيقها في كل درجة من الدرجات المشار إليها . ففي درجتي ولاية الله للمؤمنين ، وولاية الرسل للمؤمنين تتميز أشكال الولايـة بسـلوك المحبة والإخلاص والإحسان والصدق . وفي درجة ولاية المؤمنين لبعضهم بعضاً تتميز أشكال السلوك بالمودة والتراحم[١] .

وولايـة غـير المؤمنين الذين لا يكون لهم مكان في ولاية المؤمنين تكون ولايتهم في الطرف المقابل من الولاية الفاسدة القائمة على نصرة الباطل والدعوة قائمة إليه والالتفاف حوله . وهذه الولاية الفاسدة درجتان :

الدرجـة الأولى : ولاية الشياطين للكافرين والمنافقين والعصاة ، أي يـتولونهم بالإضـلال والإفساد والاصطدام مع أوامر الله وسنته في الحياة . وإلـى هـذه الدرجة كانت الإشارة بأمثال قوله تعالى : ﴿ **فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم** ﴾[٢] .

وقـال تعالى : ﴿ **إنا جعلنا الشياطين أولياء الذين لا يؤمنون** ﴾[٣] . فالقـرآن والحديث يطلقان مصطلح « الشيطان » ليدل على « المنشطن » : أي المنحرف الضال عن قصد وإصرار[٤] .

---

(١) الأمة المسلمة ، د/ماجد الكيلاني ، ص١٢٥-١٢٨ .

(٢) سورة النحل آية : ٦٣

(٣) سورة الأعراف آية : ٢٧ .

(٤) تفسير الطبري ، جـ١ ص٢٩ ، وتفسير ابن كثير سورة البقرة آية : ١٥ .

وهناك نوع آخر هو الشيطان الإنسان الذي « ينشطن » أي ينحرف عن قصد وإصرار عن منهج الله ، ويتبنى منهاجاً مضاداً في الفكر والسلوك . ويجعل من الانحراف والضلال فكراً صائباً وعملاً صالحاً وإنجازاً حضارياً متقدماً ، ثم يكرس حياته وجهوده للدعوة إلى هذا الانحراف والضلال وإشاعتهما . وفي معنى قوله تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم** ﴾[1] .

أي أن الشياطين المشار إليهم في هذه الآية هم شياطين فارس من المجوس ، وأن أولياءهم المتمردون من مشركي قريش . فقد أرسلت فارس إلى أوليائها من قريش أن جادلوا محمد وأصحابه حول أكل الميتة ، وكانوا يسمونها قتل الله . فقالوا ما قتل الله لا تأكلون وما قتلتم تأكلون ؟ فأنزل الله قوله : ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ [2] . وفي رواية أخرى قالوا : أما قتل الصقر والكلب فتأكلون ، وأما قتل الله فلا تأكلون ؟ فوقع في نفوس بعض المسلمين شيء ، فأنزل الله الآية ونزلت أيضاً آية : ﴿ **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾[3] .

إن ظاهرة شياطين الفكر من المستعمرين يثيرون الشبهات حول الإسلام . وظاهرة أوليائهم من العرب كانوا وما زالوا يتلقون القضايا الفكرية من شياطين الخارج . ففي الماضي كانوا يتلقون المعتقدات والشبهات من فارس والروم ، واليوم يتلقونها من الغرب والشرق ، ولا عاصم لهم إلا

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢١.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٢١.

(٣) سورة الأنعام آية : ١١٢.

الإسلام . والحديث النبوي يركز على التحذير من شياطين الإنس . ومن ذلك قوله : ((**يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ قلت يا رسول الله وهل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم شر من شياطين الجن**))[1] .

وبهذا التصور الذي يقدمه القرآن والحديث يكون هناك شيطان الفكر ، وشيطان التربية ، وشيطان الآداب ، وشيطان الفنون ، وشيطان الإعلام ، وشيطان الإباحية ، وشيطان الأزياء . ومن أحب أحد من هؤلاء الشياطين أو قلده فهو ولي له ، وهم أولياء له باعتبار أن لكل هؤلاء اهتمامات مشتركة تعمل في الاتجاه المضاد لصحة الأمة الإسلامية وسلامة عناصرها في الإيمان .

الدرجة الثانية : ولاية الكافرين والمنافقين والعصاة بعضهم لبعض : وإلى هذه كانت الإشارة بأمثال قوله تعالى : ﴿ **وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾[3] . وينبه القرآن الكريم إلى ضرورة العلم بالنوعين من « الولاية » والتمييز بينهما بغية اتقاء التداخل أو الاختلاط بين الأفكار والتطبيقات والروابط والولاء مما يضعف الأمة المسلمة . وأبرز الظواهر التي تختلط فيها مفاهيم الولاية والرعاية هي : « روابط العصبية والدم والمصالح الاقتصادية » .

---

(١) تفسير الطبري ، جـ٨ ص١٦ ، وص٥ .

(٢) سورة الجاثية آية : ١٩ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٧٣ .

ولذلـــك أخضعتها التربية الإسلامية لتوجيهاتها وسمحت بها ما دامت « صلة رحم » تدور في فلك ولاية الإيمان . أما إذا انقلبت عصبية جاهلية واصطدمت بولاية المؤمنين ، فعند ذلك لا مكان لها في « أمة المؤمنين » وإلى ذلك يشير أمثال قوله تعالى : ﴿ **يـــا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجـــارة تخشـــون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهـــاد فـــي سبيله فتربصوا حتى يأتي أمر الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[1] . والرسول ﷺ يخرج من بقي موالياً لروابط العصبية من إدارة الانـــتماء إلى الأمة المسلمة . وأنه ليس من هذه الأمة من دعا إلى عصبية أو قاتل على عصبية أو مات على عصبية[2] .

وتبدو الحكمة من المفهوم الإسلامي « للولاية » حين ننظر في العلاقة بيـــن فاعلـــية الولاية وسعة دائرتها ، فالأمة التي تمتد حدود الولاية فيها إلى الدائـــرة الإيمانية التي تتسع للإنسانية كلها تتفوق على الأمة التي ينتهي رباط الولاية فيها عند « الدائرة القومية » . والأمة التي ينتهي رباط الولاية فيها عند القـــوم تتفوق على الأمة التي تنتهي فيها رباط الولاية عند دوائر « القبلية » . السبب أنه كلما اتسعت دائرة الولاء تطلبت إلى قدر أكبر من العمل الجماعي ومحتويات أوسع وأعمق لروابط الإيمان[3] .

---

(١) سورة التوبة آيتا : ٢٣-٢٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة .

(٣) المرجع السابق ، ص١٢٨-١٣٢ .

المفهوم اللغوي « للولاء » و« البراء »

والمولـــى اســـم يقـــع على جماعة كثيرة ، فهو : الرب ، والمالك ، والسيد ، والمنعم ، والمعتق ، والناصر ، والمحب ، والتابع ، والجار ، وابن العم ، والحليف ، والصهر ، والعبد ، والمعتق ، والمنعم عليه . ويلاحظ في هذه المعاني أنها تقوم على النصرة والمحبة[١] .

والـــولاء بمعـــنى الدنو والقرب والولاية ضد العداوة ، والولي عكس العـــدو . فالمؤمنون أولياء للرحمن ، والكافرون أولياء للشيطان . ومن أسماء الله عز وجل « الوالي » ، وهو المالك للأشياء جميعها المتصرف منها . ومن استعمالات « الولي » بمعنى الناصر ، قول الله تعالى : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخـــرجهم مـــن الظلمـــات إلـــى الـــنور** ﴾[٢] . يراد به الناصر والمؤيد قال الله تعـــالى : ﴿ **بـــل الله مولاكم وهو خير الناصرين** ﴾[٣] . وكلمة « أولياء » بمعـــنى الخاصـــة قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين** ﴾[٤] .

إن معـــنى المـــوالاة فـــي أغلـــب الأحاييـــن هو المحبة ، والمودة ، والمـــتابعة ، والقـــرابة ، والنصرة . وكل هذه المعاني القيمة ، أراد الإسلام

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، جـــ٣ ص٩٨٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٠ .

(٤) سورة النساء آية : ١٤٤ .

تحقيقها في واقع المسلمين وفي حياتهم العملية[١] . وقد جسد هذا المعنى حديث رسول الله ﷺ في أوضح صورة ، فقال : ((**ترى المؤمنين في تراحمهم ، وتوادهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**))[٢] .

بريء إذا تخلص ، وبريء إذا تنزه وتباعد ، وبريء إذا أعذر وأنذر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين** ﴾[٣] . أي إعذار وإنذار . والبراء والبريء سواء . وليلة البراء ليلة يتبرأ القمر من الشمس ، وهي أول ليلة من الشهر[٤] .

فالمعاداة : مصدر يعادي ، والعداوة : اسم بمعنى الخصوصية والمباعدة وهي شعور المتمكن في القلب في قصد الأضرار وحب الانتقام . والعدو ضد الولي ، والجمع أعداء ، وجمع الجمع أعادي ، وكذا العدو ضد الصديق ، يطلق على الواحد والجمع . والعدوان الظلم الصراح . والعدو ، والعداوة ، والأعداء ، والعدوان كلها ورد استعمالها في القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ....** ﴾الآية[٥] . وقال تعالى :

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس الجلعود ، جـ١ ص٢-١١ .

(٢) صحيح البخاري ، باب كتاب الأدب ، جـ٨ ص١٢.

(٣) سورة التوبة آية : ١ .

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، جـ١ ص١٨٣ ، القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ، جـ٤ ص٣٦ .

(٥) سورة الممتحنة آية : ١ .

﴿ **والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة .... ﴾**[1] وقال تعالى : ﴿ **والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴾**[2] . وقال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾**[3] . وقال الله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾**[4] . أي فلا قتال إلا على الذين لم ينتهوا من الظلم ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم ﴾**[5] . فالمعاداة إذاً تأتي في أغلب استعمالاتها ، ويراد بها البغض والكراهية وحب الانتقام . عكس الموالاة تماماً ، التي تدل في أغلب استعمالاتها على المحبة والمودة والنصرة والقرابة . ولذلك فالموالاة والمعاداة ضدان لا يجتمعان ، فوجود أحدهما ينفي الآخر[6] ، قال الشاعر :

تحب عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الود عنك لعازب

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٤.

(٢) سورة النساء آية : ٤٥ .

(٣) سورة الفرقان آية :٣١ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٣ .

(٥) سورة لقمان آية : ١٣ .

(٦) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس الجلعود ، جـ١ ص١٢-١٥ .

openkandl.com

obeikandl.com

المفهوم الشرعي في الفرق بين الموالاة والتولي

الـــولاء والمـــوالاة وتعنـــي الـــتقرب وإظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا ، لمن يتخذه الإنسان ولياً . فإن كان هذا التقرب وإظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا ، مقصود به الله ورسوله والمؤمنين ، فهي الموالاة الشرعية الواجـــبة علـــى كل مسلم . وإن كان المقصود بالتقرب وإظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا ، هم الكفار ، على اختلاف أجناسهم ، فهي موالاة كفر وردة عن الإسلام ، إذا صدرت ممن يدعي الإسلام[١] .

إن معـــنى « الولاية » التي ينهي الله الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين الـــيهود والنصارى ، هي ولاية التناصر والتحالف ، ولا تتعلق بمعنى اتباعهم فـــي ديـــنهم . فبعـــيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى إتباع اليهود والنصارى في الدين . وإنما الذي يخشى منه هو ولاء التحالف حتى نهاهم الله عنه ، وأمر بإبطاله . بعد ما تبين عدم إمكان قيام الولاء والتحالف والتناصر الـــذي كان يتلبس على المسلمين أمره في أول الدعوة الإسلامية ، حتى نهاهم الله عـــنه ، وأمـــر بإبطالـــه . بعـــد ما تبين عدم إمكان قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة[٢] .

---

(١) كتاب الإيمان ، د/محمد نعيم ياسين ، ص١٨٨.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جـــ٦ ص٧٥٨.

كمـــا أن الفـــرق بيـــن الموالاة والتولي في المفهوم الشرعي يبين أن « التولي » هو الدفاع عن الكفار ، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي . وهذا كفر صـــريح يخرج من الملة الإسلامية . أما « الموالاة الخاصة » فهي كبيرة من كـــبائر الذنوب وهي المصانعة والمداهنة ، لغرض دنيوي ، مع عدم إضمار نية الكفر والردة عن الإسلام . وبعد نزول الآيات بذلك قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذيـــن آمـــنوا لا تـــتخذوا عـــدوي وعدوكم أولياء ...** ﴾ الآية . إلى قوله تعالى : ﴿ **ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾[1] .

إن الموالاة المطلقة العامة مرادفة لمعنى التولي ، وهي بهذا الوصف كفر وردة ، ومنها ما دون ذلك بمراتب متعددة ، ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعـــيد والـــندم بحسب نية الفاعل وقصده . والموالاة التي تصل بفاعلها إلى درجة الكفر ، والردة عن الإسلام هي ما يلي :

أولاً : أن يوالـــي المســـلم الكافر ، وتكون موالاة لهم مع مساكنهم في ديـــارهم والخـــروج معهـــم فـــي قـــتالهم ونحـــو ذلك ، كما في ظاهر قوله تعالى : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم ...** ﴾ الآية[2] .

ثانـــياً : أن تكـــون موالاة المسلم لهم بإتباع نظمهم ، وتطبيق قوانينهم الجاهلـــية التـــي تبيح ما حرم الله من ربا وزنا وخمر ونحو ذلك ، وتحرم ما أحـــل الله مـــن نسل أو تزاوج أو إرث أو أمر بالمعروف ونهي عن منكر .

---

(١) سورة الممتحنة آية : ١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١.

قـــال الله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[١] .
وفي الحديث الصحيح : ((**من أحب قوما رجي أن يكون معهم**))[٢] .

أما الموالاة الخاصة التي لا تصل إلى درجة الكفر ، إنما ذنباً ومعصية وإثماً ، فهي ما يلي :

أولاً : إذا كانت الموالاة لهم في ديار المسلمين إذا قدموا إليها ، وذلك مثل الإكرام العام لهم ، بغير دعوة إلى الإسلام ، ومن غير مودة قلبية لهم .

ثانـــيًا : إذا كـــان الإكـــرام للكفار والموالاة لهم من أجل دنياهم ، مع اعتقاد القلب ببطلان ما هم فيه من كفر وكراهية ذلك منهم[٣] .

ومـمـــا تقـــدم نجد أن الذين تكلموا في الموالاة من العلماء الذين سبقت الإشـــارة إليهم قد عدوا أعلى درجات الموالاة للكفار « ردةً وكفراً » ، وأقلها يكـــون ذنباً ومعصية وإثماً . ولم يذكروا أي نوع من أنواع الموالاة تصح مع الكفار .

إلا أن بعـــض العلمـــاء المعاصـــرين[٤] ، قسموا الموالاة للكفار إلى قسمين :

---

(١) سورة المائدة آية : ٥١ .
(٢) سنن الترمذي ، باب ما جاء المرء مع من أحب جـــ٤ ص٥٩٥ رقم ٢٣٨٥ .
(٣) تفســـير القرطبي ، جـــ١٨ ص٥٢ ، تفسير أحكام القرآن ، ابن العربي ، جـــ٤ ص.١٧٧ ، مجموع التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ص١٢٦ .
(٤) تفســـير آيات الأحكام ، محمد السايس جـــ٢ ص٦ ، مقرر الفقه للصف الثاني ثانوي ، مناع القطان .

القسم الأول : أن تكون الموالاة بمعنى المسامحة والمسالمة والمعاشرة الجميلة في الدنيا ، والمعاملة بالحسنى وتبادل المصالح بحسب الظاهر ، مع عدم الرضا عن حالتهم وكفرهم فهذا أمر غير منهي عنه . وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى:﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾[1].

القسم الثاني : أن تكون الموالاة بمعنى المحالفة والمناصرة ضد المسلمين والرضا عن الكفار وبما هم فيه من كفر ، فإن الرضا بالكفر كفر ، ولا يبقى مؤمناً مع كونه بهذه الصفة . لأن في مناصرة الكافرين على المسلمين ، ضرراً بالغاً بالكيان الإسلامي ، وأضعافاً لقوة الجماعة المؤمنة ، وهذا النوع من الموالاة قد نهى الله عنه بقول الله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء** ﴾[2] .

ويتضح من كلام الشيخين أن هناك نوعاً من أنواع الموالاة يجوز فعلها مع الكفار . ولكن الذي قصده الشيخان ، هو البر والصلة فعبر بالموالاة عن البر والصلة التي أباحها الله مع المسالمين من الكفار في قوله تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾[3] .

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٨ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٢٨ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ٨ .

وإلا فـــإن نصـــوص الكـــتاب والســـنة ، لم تذكر إباحة تولي الكفار أو موالاتهم على أي وجه من الوجوه سوى حالة الإكراه قال تعالى:﴿ **لا يتخذ المؤمـــنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير** ﴾[1] . فـــيجوز في حالة الضعف والخوف من آذاهم الموالاة لهم ظاهر ، ريثما يعد المســـلمون العـــدة لمواجهة الكفار والتحرر من سيطرتهم . فالموالاة شيء لا يعتـــبر مـــرادفاً للبر، يعني الصلة في الخير والاتساع في الإحسان . فدعوة الإسلام إلى المسامحة في معاملة بعض الكفار والبر بهم لا يعني الموالاة لهم . فســـماحة الإســـلام بـــتعامل المســـلم مع الناس جميعاً ، على أساس العدل والاحترام المتبادل ، بدون محبة القلب للكفار ، أو مودة ما هم فيه من كفر . وإنما التعامل فيما ليس له مساس في جانب العقيدة ، كالبيع والشراء ، وتبادل المنافع التي لا تستلزم حباً أو بغضاً في بعض الأحوال . فعدم موالاة الكفار لا تمنع مصاحبتهم بالمعروف ، فقد قال تعالى : ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً** ﴾[2] . فهذا دليل على أن الإسلام لا يمنع من مصاحبة الوالدين بالمعروف ، مع اختلاف العقـــيدة ، وهـــذه المصاحبة ليست هي الموالاة المنهي عنها ، لأن المصاحبة بالمعروف لا ترقى إلى درجة الموالاة . أما إذا وصل الأمر إلى درجة المحبة

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٨ .

(٢) سورة لقمان آية : ١٥ .

القلبـــية لهـــم ، ولمـــا هو من خصائص كفرهم ، فهذا هو التولي ، والموالاة المحرمة[١] .

إن المســـلم الحقيقـــي هو الذي يتحلى بالمفاصلة الكاملة بينه وبين من ينهج غير منهج الإسلام . وأن المسلم مأمور بأن لا يخلط بين منهج الله وبين أي منهج آخر وضعي لا في تصوره الاعتقادي ، ولا في نظامه الاجتماعي ، ولا في كل شأن من شئون حياته . وأن الفوارق بين الإسلام والكفر لا يمكن الالـــتقاء عليهما بالمصالحة والمصانعة . والتسامح الذي أقره الإسلام ضمن حدود معينة مع غير المسلمين ، ينبغي أن لا يكون على حساب أضعاف تميز المسلم في تصوره الاعتقادي ونظامه الإجتماعي[٢] .

إن الغـــرض مـــن معاداة الكفار من قبل المسلم هي أن تبقى شخصية المســـلم واضحة قوية متميزة بارزة المعالم ، ترى دلائل الإسلام ظاهرة فيها وفي كل حركاتها[٣] .

ومما تقدم أن الموالاة هي المحبة : « قولاً ، وفعلاً ، واعتقاداً » ، وأن محـــبة الله واجبة . وهي لا تتحقق إلا بحب ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأشخاص . حيث أن من الأمور البديهية « أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » ، وأن المحبة تنقسم إلى قسمين :

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس الجلعود ، جـــ١ ص٢٩-٣٣ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جـــ٦ ص٧٥٨ - ٧٦٧ .

(٣) ليس من الإسلام ، محمد الغزالي ، ص٣٠١ .

أولاً – محبة في الله :

وهـــي أن يحـــب المسلم كلما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأشخاص ، وهذه المحبة من الموالاة المأمور بها شرعاً ، وهي منبعثة من محبة الله ، متممة لها غير متنافية معها .

ثانياً – المحبة مع الله :

وهـــي أن يـــتعلق قلب الإنسان بمحبوبه يحبه مع الله أو من دون الله فـــيغفل عـــن محبة الله ، أو يتوجه إلى غير الله بالرغبة والرهبة فتكون هذه المحـــبة مغنية وصارفة له عن محبة الله ، ومحبة ما يحبه الله ، فتكون منافية لمحبة الله متعارضة معها ، وتلك حقيقة « موالاة أعداء الله » وإذًا المحبة في الله محمـــودة إلـــى كل داع إلى الله ومهتدي بهداه . أما المحبة مع الله ، فهي محبة مذمومة ، حاملة لصاحبها على محبة الشرك [1] .

أنواع المحبة الضادة :

الـــنوع الأول : المحبة مع الله ، وهي أصل الشرك ، وأصل المحاب المذمومـــة ومـــثلها مثل محبة كفار قريش لأصنامهم في عهد الرسول ﷺ ، ومحـــبة بعض المنتسبين إلى الإسلام للأحزاب الكافرة المنحرفة في العصر الحاضر .

---

(١) المـــوالاة ولمعـــادة في الشريعة الإسلامية ، محماس الجلعود ، جـــ١ ص٣٤-٣٧ ، الشرك ومظاهره ، مبارك الميلي ، ص١٧٩ .

النوع الثاني : محبة ما يبغضه الله من كفر وفسوق وعصيان .

الـــنوع الثالـــث : محبة ما تقطع محبته عن محبة الله أو تنقص ذلك مـــثل : محـــبة « الأهل ، والمال ، والولد » ، إذا كانت على حساب محبة الله أو صارفة للمسلم عن محبة الله .

وإن بين الموالاة والمعاداة دلالة في مفهوم المخالفة . فإذا نهى الله عن المعاداة بالنص الظاهر دل المفهوم على وجوب الموالاة ، وإذا نهى الله تعالى بالنص الظاهر عن الموالاة دل المفهوم على وجوب المعاداة . أي بمعنى أن الأمـــر بالشيء نهى عن ضده من طريق اللزوم العقلي . وحول هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية « رحمه الله » : أن كمال الإخلاص ويقينه موجب أن يكون الله أحب إلى المرء من كل شيء سواه ، وأخوف عنده من كل شيء عداه . فلا يبقى يومئذ إرادة لما حرم الله ، ولا كراهية لما أمر الله .

إن أصـــل الدين وكماله ، أن يكون الحب في الله ، والبغض في الله ، والمـــوالاة في الله ، والرجاء لله ، والإعطاء لله ، والمنع لله . وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله ﷺ الذي أمره لله ، ونهيه لله . فالذي لا يرضى لرضى الله ورســـوله ، ولا يغضب لغضبهما ، وإنما يرضى لهواه ويغضب لذلك ، فهو من قال الله فيهم : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾[1] .

---

(١) سورة النجم آية : ٢٣ .

فالمسلم المؤمن المخلص في عقيدته هو من أخلص توحيده لله وعادى المشـــركين في الله وهم أعداء الله[1] . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق...** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾[2] .

---

(١) المرجع السابق ، جـــ١ ص٣٧ - ٣٩ .

(٢) سورة الممتحنة آية : ١ .

obeikandl.com

obeikandl.com

مقتضيات الولاء والبراء

إن مـــن مقتضـــيات الولاء والبراء أو التولي والموالاة :هو أن الولاء أصله الحب ، والبراء أصله البغض . وقد ينشأ عنهما من أعمال الجوارح ما يؤيـــد صدق ذلك الحب أو يكذبه ، وما يؤيد ذلك البراء أو ما يبطل زعمه ، ويشتمل على :

أولاً : حب الله ورسوله :

الحـــب عنصـــر أصـــيل فـــي التصـــور الإسلامي ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً** ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[2] . ذلك أن نصاعة التصور الإسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية لا يجفف ذلك النداء الحبيب بين الله وعباده ، فهي علاقة الرحمة والعدل والود .

ومن نعمة الله على عباده المؤمنين أن يجعل المحبة فيه هي الوشيجة العظمى بينهم ، وهي المورد العذب الذي ينهلون منه جميعاً . ثم جعل سبحانه وجود المحبة للقوم ولما يلحق بهم المحب سبيلاً للحاق بهم يؤيد ذلك قوله ﷺ : ((**المـــرء مع من أحب**))[3] . وعن أنس أن رجلاً سأل النبي متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ((**ما أعددت لها**)) قال : ما أعددت لها من كثير الصلاة

---

(١) سورة مريم آية : ٩٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب باب علامة الحب في الله ، جـــ١٠ ص٥٥٧ .

ولا صـــوم ولا صـــدقة ، ولكنـــي أحب الله ورسوله . قال : ((**أنت مع من أحببت**))[١] .

علـــى أن مـــن الواجـــب : أن هذا الحب ليس مجرد أماني أو أحلام تناقضـــها الأفعـــال القبيحة . وإنما هو حب بالقلب وعمل بالجوارح [٢] . قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾[٣] .

قـــال الحســـن : لا تغتر بقولك المرء مع من أحب إن أحب قوماً اتبع آثـــارهم ، ولـــن تلحـــق الأبرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بســـنتهم ، وتمســـي وتصبح وأنت على منهاجهم ، حريصاً أن تكون منهم ، وتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقهم ، وإن كنت مقصراً في العمل فإن ملاك الأمر أن تكـــون على استقامة . أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء الرديئة يحبون أنبيائهم وليسوا في القول والعمل وسلكوا غير طريقتهم فصار موردهم النار[٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب باب علامة الحب في الله ، جـ١٠ ص٥٥٧ .

(٢) الولاء والبراء في الإسلام ، محمد سعيد القحطاني ، ص ٢٦١ – ٢٦٣ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٤) الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ، ص١٣٣ .

والمحبة تنقسم إلى :

١- **محبة شركية :** وأصحابها هم الذين قال الله فيهم : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العقاب** ﴾[١] .

٢-**حب الباطل وأهله :** وبغض الحق وأهله وهذه صفة المنافقين .

٣- **محبة طبيعية :** وهي محبة المال والولد إذا لم تشغل عن طاعة الله فهي مباحة .

٤- **حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك :** وهي أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه .

وما دامت المحبة في الله هي أوثق عرى الإيمان ، قال ﷺ : ((**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**))[٢] . فإن الطريق الموصل إليها وإلى موالاة الله عز وجل هو : إتباع شرعه الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ . ومعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلابد أن يبغض أعداءه . وقد وصف الله سبحانه وتعالى عباده الذين يحبهم ويحبونه قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم**

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٢) الجامع الصغير ، للسيوطي ، جـ١ ص٦٩ .

ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾[1] . أي إنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح . ويعاملون الكافرين بالعزة والغلظة لهم . فهم يحبون من أحبه الله ويبغضون أعداء الله كما قال الله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ....** ﴾ الآية[2] .

ثانيًا : حق المسلم على المسلم :

إن من مقتضيات الولاء : حق المسلم على المسلم ، فالمحبة في الله هي الوشيجة العظمى التي التقى عليها المؤمنون ، ويلتقون عليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وعلى هذه الوشيجة تبنى حقوق المسلم على المسلم . وهي كثيرة جداً مما هو منصوص عليه في الكتاب والسنة ، ومن هذه الحقوق :-

١- المودة :

وهذه للمؤمنين بعضهم لبعض ومنها : حب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه كما قال ﷺ : ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)) متفق عليه[3] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٥٤ .

(٢) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، جـ١ ص٥٧ جـ١٣ .

٢- النصرة :

وهــذا واجب أخوي إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم من أي جنس كان ينصره بنفسه وبماله . قال ﷺ : ((**ما من امرئ يخذل امرءًا مسلماً في موضــع تنتهك فيه حرمته وينقص فيه عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فــيه نصــرته ، وما من امرئ ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه عرضه وينتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته**))[١] .

النصرة هي من العناصر المكونة للأمة الإسلامية ، وان معنى النصرة في القرآن الكريم والحديث لتعني : « النصرة بمعنى إتباع دين الله والجهاد في سبيله وطاعة أوامره واجتناب معاصيه »، مثل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمــنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[٢] . النصرة بمعنى التأييد والمســاعدة على التفوق والغلبة ، مثل قوله تعالى : ﴿ **وقلد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ...** ﴾ الآية[٣] . وقال تعالى : ﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ...** ﴾ الآية[٤] .

---

(١) أبو داود ، كتاب الأدب ، جـ٥ ص١٩٧ جـ٤٨٨٤ .

(٢) سورة محمد آية : ٢ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٢٣ : .

(٤) سورة التوبة آية : ٢٥ .

وقـــال الله تعالى : ﴿ **فالذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنـــزل معـــه أولـــئك هـــم المفلحـــون** ﴾[1] . والنصرة بمعنى الحماية مثل قوله تعالى : ﴿ **إلا تنصروا فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا...** ﴾ الآية[2] .

أمـــا عـــن المناسبات التي اقترنت بالتوجيهات القرآنية والنبوية التي عالجت عنصر النصرة وأدرجته في العناصر المكونة للأمة الإسلامية فهي :

أولاً : ذلـــك الالتزام الكامل الذي قام به الأنصار قولاً وعملاً لنصرة رســـوله ﷺ ، ونصـــرة المهاجريـــن معه ، ومن أجل ذلك أطلق عليهم اسم « الأنصار » .

ثانياً : تلك التضحية الكاملة التي قدمها المهاجرون حين اقتلعوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي وثقافته اقتلاعاً كاملاً ثم أوقعوا على الأنفس نصرة دين الله سبحانه وتعالى .

ثالـــثًا : إقامـــة الفريقين مجتمعين لمعاني الإسلام في واقع حياتهم في المجـــتمع النـــبوي ، ثـــم الخروج إلى العالم كله لإقامة هذه المعاني في حياة الآخرين .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة آية : ٤٠ .

ويـــتحقق عنصر « النصرة » في حياة الأمة المسلمة من خلال نصرة « أفكـــار » الرسالة الإسلامية . ويتكون كل مجتمع من ثلاثة عناصر رئيسية هـــي : « الأفكار ، والأشخاص ، والأشياء » . وتكون الأمة في أعلى درجات الصـــحة حيـــن تكـــون نصرة « الأفكار » هي المحور الذي يدور في فلكه : « الأشـــخاص ، والأشـــياء » . ففـــي هذه الحالة يخلف « أشخاص » المؤمنين الرســـول ﷺ فـــي نصرة أفكار الرسالة ، ومدى القدرة على حملها أي فقهها وتطبـــيقها ، ومدى الإخلاص في هذا الحمل ، والقرآن الكريم يطلق على كل مـــن القـــدرة الإخـــلاص اصطلاحي : « القوة ، والأمانة » . وذلك عند قوله تعالى : ﴿ **إن خير من استأجرت القوي الأمين** ﴾[١] . وفي آية أخرى يسميها التمكين ، والأمانة وذلك عند قوله تعالى : ﴿ **إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾[٢]. والقـــوة هنا تعني الجدارة وهي شاملة ذات مظاهر عديدة . فهي القدرة على تنفـــيذ الأحكام ، والقوة في ميدان العسكرية تدور حول شجاعة القلب والخبرة العســـكرية ، وهكذا بقية ميادين الحياة . أما « الأمانة فتدور حول الولاء الذي من أجله تبذل القدرة »[٣] .

ومن الأوامر النبوية في شأن النصرة قوله ﷺ : ((**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**))[٤] . ونصرته إذا كان مظلوماً ظاهرة أما نصرته إذا كان ظالماً فبردعه عن الظلم ومنعه عنه . وقال ﷺ : ((**المسلم أخو المسلم لا يظلمه** ،

---

(١) سورة القصص آية : ٢٦ .

(٢) سورة يوسف آية : ٥٤ .

(٣) الأمة المسلمة ، د / ماجد الكيلاني ، ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، جـــ٥ ص٩٧ جـــ٢٤٤٣ .

ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة))[1] .

وتتحقق النصرة بعدة أمور منها : الدفاع بالنفس عن الأخ المسلم ، وبذل المال له لإعزازه و تقوية جانبه ، و الرد على أهل الباطل الذين يريدون خدش كرامة المسلمين ، والدعاء للمسلم بظاهر الغيب بالنصر والتوفيق ، وتتبع أخبار المسلمين والوقوف على أحوالهم ودعمهم بقدر الاستطاعة[2] .

لقد أكرم الله عز وجل المسلمين حين جعل من دينه رابطة تربط المسلم بأخيه المسلم مهما نأى المكان واختلف الزمان . وأصبحت العقيدة الإسلامية ، تجمع بين القلوب المؤمنة ، وتنشأ العطف والرحمة فيما بينها ، قال الله تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ...** ﴾ الآية[3] . فالإسلام هو العروة الوثقى بين أتباعه جميعاً ، وأن التناصر بينهم يتم في حدود الشريعة الإسلامية . فقد أمرنا الله تعالى بأوامر وكلفنا بتنفيذها ، ونهانا عن محرمات وطلب منا عدم مقارفتها ، قال تعالى : ﴿ **و تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾[4].فالموالاة لله لا تصدر من طرف واحد،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، جـ٤ ص١٩٩٦ جـ ٢٥٨٠ .

(٢) الولاء والبراء في الإسلام ، محمد سعيد القحطاني ، ص٢٦٤ - ٢٦٩ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٤) سورة المائدة آية : ٢ .

وإنما هي شركة بين المؤمنين يكمل بها بعضهم بعضاً، والحقوق التي تقتضيها الأخوة في الله تتلخص في :

١- الإيثار :

إن من الصفات الكريمة التي امتدح الله بها الأنصار صفة الإيثار ، قال تعالى: ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾[١] . فالمسلم الذي يؤثر إخوانه في الله بماله ونفسه ، فإن ذلك دليل على كمال إيمانه وعظيم حبه لله تعالى ، ولمن يحبهم الله من خلقه .

٢- قضاء الحاجات :

من حقوق الموالاة في الله قضاء حاجات الإخوان والقيام بها على قدر الاستطاعة والقدرة ، مع البشاشة ، وإظهار الفرح والاستبشار بها . وكان بعض السلف الصالح يقوم بتفقد عيال أخيه في الله بعد موته فيقضي حاجتهم ، ويلبي مطالبهم ، ويتودد لهم ، كأنهم بمنزلة أولاده ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه . وكان الحسن البصري « رحمه الله » يقول : « إخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا ، ولأن أهلينا يذكروننا الدنيا ، وإخواننا يذكروننا الآخرة » .

٣- السكوت عن عيوب إخوانه في غيبتهم وحضرتهم :

ويستحسن أن يكون ناصحاً لهم بطريق غير مباشر إذا كانت هذه الأمور متعلقة بعيوب شخصية مثل : قلة الأكل عند البعض منهم ، أو زيادته عند البعض الآخر ، أو كثرة النعاس ، أو عدم الاعتناء بالنظافة الشخصية .

---

(١) سورة الحشر آية : ٩ .

أمـــا إذا كانـــت هـــذه العيوب تمس شيئاً من واجبات الدين وأركانه « فالدين النصيحة » ولا يجب التهاون في ذلك ، وقد قال عبد الله ابن المبارك « رحمه الله » المؤمن يطلب لهفوات إخوانه المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات .

٤- ترك سوء الظن في إخوانه :

مـــن حقوق الموالاة في الله ترك سوء الظن بالأخ المسلم ، فسوء الظن غيبة القلـــب ، وذلك أمر منهي عنه المسلم ، ما لم تتوفر الأدلة اليقينية في حصول الأمر المظنون فيه ، وسوء الظن هو أن تحمل فعل أخيك على وجه فاسد مع إمكان أن تحمله على وجه حسن . وسوء الظن قد ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : « فراسة المؤمن » ويستند إلى علامات ودلائل تشير إلى ذلك ، فإن هذا يحرك الظن تحريكاً لا يقدر الإنسان على دفعه .

القسم الثاني : « الظن السيئ » ومنشؤه سوء اعتقاد الأخ بأخيه في أن يـــنزل فعلـــه على الوجه الرديء ، من غير علامة يقينية ترجح ذلك الأمر . وهـــذا هو الظن الذي حذرنا منه قال تعالى : ﴿ **يـــا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثـــيراً مـــن الظن إن بعض الظن إثم ....** ﴾ الآية[1]. وقال رسول الله ﷺ : ((**إيـــاكم والظـــن فإن الظن أكذب الحديث**))[2] . وأقل درجات المعاملة في الأخوة في الله أن يعامل أخاه بمثل ما يجب أن يعامل هو به .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٢) رواه البخاري ، فتح الباري ، جـــ٩ ص١٩٨ .

٥- ذكر المسلم محاسن إخوانه :

مـــن حقـــوق الموالاة في الله أن يذكر الأخ المسلم محاسن إخوانه في الله ، لأن المحاســـن تغطـــي المساوئ وتجلب المحبة . ولذلك روي عن أبي كـــريمة المقداد بن معد بن يكرب عن النبي ﷺ قال : ((**إذا أحب الرجل أخاه فليخـــبره أنه يحبه**))[١] . والحكمة من إخبار الأخ بمحبته إياه لتحصل بينهما المـــودة والصلة والتزاور والتناصح والتعاون ، فتزداد المحبة وتتقوى الصلة بيـــنهما وتـــتوثق عرى الأخوة . والمحبة بين المؤمنين مطلوبة في الشرع ، ولذلـــك أرشـــد الرسول ﷺ إلى أسبابها القولية والفعلية ففي الحديث عن أبي هريـــرة قـــال : قال رسول الله ﷺ : ((**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمـــنوا حـــتى تحـــابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشو السلام بينكم**))[٢] . هذا في أسباب المحبة « القولية » . أما المحبة « الفعلية » فقـــد ورد فـــي الحديـــث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((**لـــو دعيـــت إلـــى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدي إلى ذراع أو كراع لقبلـــت**))[٣] . وفـــي حديث آخر : ((**كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها**))[٤] .

---

(١) نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، جـــ١ ص٣٥٢ .

(٢) صحيح مسلم ، جـــ١ ص٧٤.

(٣) صحيح مسلم ، جـــ١ ص٧٤.

(٤) رواه البخاري ، فتح الباري ، جـــ٩ ص١٩٨ .

٦- الدفاع عن أخيه بذم الذامين وقدح القادحين :

ومـــن مقتضـــيات المـــوالاة فـــي الله أن يرد تعنت المتعنتين وتشويه الحاقديـــن الذين يريدون أن يصفوا كل مسلم بأوصاف النقيصة والازدراء . وإن تسليط الجهال على القدح من أعظم المنكرات وأقبح الصفات ، فينشرون اليأس والتخاذل بين المسلمين . ولم يسلم من تلك المصيدة الخبيثة حتى أولئك الذين يتزعمون الدعوة إلى الله . فهم قد يربون أتباعهم على الحقد والضغينة نحـــو الآخريـــن ، وكأن الإسلام وقف عليهم دون غيرهم من الناس ، وكأنهم وحدهـــم المعصـــومون مـــن الخطأ الذي يشترك فيه عامة الناس . إن المبدأ والمـــنهاج في تقييم المسلمين إذا انتشر وشاع على هذا الأساس ، فسوف تفقد الأمة الثقة بالمسلمين عامة والعاملين على الإسلام خاصة ، وعند ذلك تضيع في متاهات الضلال والانحراف .

وهذا لا يعني عدم محاسبة الإخوان عن أعمالهم وعيوبهم ومناصحتهم في تقصيرهم . ولكن المقصود هو عدم التجزع الخفي الذي يهدم ولا يبني ولا يقوم ، والذي قد يكون للكذب والمكر السيئ مجال واسع فيه[١] .

٧- العفو عن هفوة الأخ والكف عن عثرته :

وهي من حقوق الموالاة ، وهي لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصـــية ، أو فـــي دنـــياه بتقصير في حقك . فإن كان في الدين من ارتكاب معصـــية وبـــترك واجـــب أو اقـــتراف محرم ، فلا يخلو ذلك من أمرين :

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس الجلعود ، جـــ١ ص ٢٤٨ - ٢٥٥ .

أ- أن تكون تلك المعصية التي اقترفها ، أو الواجب الذي تركه زلة قد ندم عليها وتاب عنها فالعفو والصفح واجب في ذلك .

ب- أن يكـــون مصـــراً على المعصية متلبساً ، فالأولى التلطف في نصـــحه بما يقيم معوجه ، ويعيد الورع والصلاح إليه . فإن لم تستطع وبقي مصـــراً ، فقـــد اختلفـــت طرق الصحابة في حق مودته واستمرار موالاته ، أو مقاطعته ومعاداته ، ولهم قولان :

القول الأول :

قـــول أبـــي ذر رضـــي الله عنه حيث يرى أن المسلم إذا انقلب على إخوانه وعصي ربه ، وأصر على معصيته ، أنه يجب بغضه ومعاداته .

القول الثاني :

قـــول أبي الدرداء وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم حيث ذهبوا إلـــى خـــلاف القول الأول فقالوا : (إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك ، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى) .

وهـــذه الطريقة يرى البعض أنها أقوم وألطف وأفقه . وقد احتج أهل القـــول الأول بأن مرتكب المعاصي لا تجوز مؤاخاته ابتداءً ، فيجب مقاطعته انتهاءً لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها ، وعقد الأخوة في الله لا يستمر مع من يقارف المعاصي ويصر عليها .

وأجـــاب أهـــل القـــول الثاني على ذلك ، بأنه إذا قوطع من انحرف عـــن طـــريق الأخـــوة فـــي الله ، وانقطـــع عـــن صحبة إخوانه الأفاضل ،

فـــإن ذلـــك يزيده إصراراً واستمراراً على معصيته ، ويتيح فرصة للشيطان وحزبه أن يجروا العاصي من الساحل إلى محيط الكفر والضلال .

والأصل أن ينزل عقد الأخوة في الله منزلة عقد القرابة ، فإذا انعقدت القـــرابة تـــأكد الحق ووجب الوفاء به ، وكذلك الأخوة في الله ، وجب بقاؤها حـــتى لـــو حصـــل ما يناقضها من معصية لا توجب الكفر . لأن استمرار الملاطفـــة والـــرفق والاســـتمالة يفضي إلى الرجوع والتوبة إلى الله ، عند استمرار الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

أما ما يتعلق بتقصير الأخ في حق أخيه ، فالواجب العفو والاحتمال ، وأن يحمل أقواله وأفعاله على المحمل الحسن ، وأن يطلب له العذر في ذلك . وعلـــى الأخ المسلم أن يكون معتدلاً مع إخوانه في الحب ، فلا يتكلف ما لا يطـــيق . ويكـــون معـــتدلاً مـــع أعدائه في البغض فلا يبالغ في البغض عند الوقـــيعة . فقـــد يتحول الأعداء إلى أصدقاء يومًا من الأيام ، قال الله تعالى : ﴿ **عســـى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم** ﴾[1] .

٨- دوام المحبة والمودة بين الأخوة في الله :

المحبة والموالاة والمناصرة للمؤمنين عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه ، والعـــبادة لـــيس لها أجل دون الموت قال تعالى : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[2] . أي اليقين الموت ، فمعنى ذلك أن المحبة في الله يجب أن تستمر

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٧ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٩٩ .

مع أهل الإيمان إلى الموت . وحتى لو مات بعض الأخوة في الله فإن المحبة تستمر مع أولادهم وقرابتهم حيث أن الحب في الله يراد به الآخرة . قال رسول الله ﷺ : ((**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم : رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**))[1] . والمودة الدائمة هي التي تكون بسبب الموالاة في الله والحب فيه ، أما المودة لغرض دنيوي فهي تزول بزوال الغرض الذي حدثت المودة من أجله .

٩- الدعاء للإخوان بالنصر والتمكين وبعد مماتهم بالمغفرة والرضوان :

من حقوق الموالاة في الله أن الإنسان إذا عجز عن تقديم العون المادي لإخوانه فلا أقل من أن يدعو لهم في حياتهم بالنصر والتمكين ، وبعد مماتهم بالمغفرة والرضوان[2] . فقد ورد في الحديث : ((**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك مثل ذلك**))[3] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، جـ٢ ص ٧١٥ .

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس الجلعود ، جـ١ ص٢٤٧ – ٢٦٢ .

(٣) صحيح مسلم ، باب الذكر ، جـ٤ ص٢٠٩٤ .

openkandil.com

ثالثاً : الهجرة :

إن الهجرة مرتبطة بالولاء والبراء ، ولما كان الإسلام هو دين العزة وديـــن القوة ، فإنه أبى على معتنقيه أن يستذلوا للكفار . وبذلك جاء المنع من الإقامـــة بيـــن ظهرانـــي غـــير المسلمين ، لأن إقامته بينهم تشعره بالوحدة والضعف وتربي فيه روح الاستكانة ، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة . والإســـلام يـــريد للمسلم أن يمتلئ قوة وعزة وأن يكون متبوعًا لا تابعًا وأن يكون ذا سلطان ليس فوقه إلا سلطان الله . لذلك حرم الإسلام على المسلم أن يقـــيم فـــي بلد لا سلطان للإسلام فيه إلا إذا استطاع أن يظهر إسلامه ويعمل طبقًا لعقيدته دون أن يخشى الفتنة على نفسه .

لقـــد عرف أهل العلم رحمهم الله : أن « دار الكفر » هي التي يحكمها الكفـــار ، وتجري فيها أحكام الكفر ، ويكون النفوذ فيها للكفار ، ولو كان بها كثير من المسلمين . و « دار الإسلام » هي التي يحكمها المسلمون ، وتجري فيها الأحكام الإسلامية ، ويكون النفوذ فيها للمسلمين ، ولو كان جمهور أهلها كفارًا[1] .

وللهجـــرة مفهـــوم شـــامل في التصور الإسلامي ليس مقتصرًا على الانـــتقال مـــن بلد الكفر إلى بلد الإسلام فحسب ، ولكنه كما يقول ابن القيم : الهجرة هجرتان هجرة بالجسم من بلد إلى بلد ، والهجرة الثانية : الهجرة إلى الله ورسوله فهذه هي الهجرة الحقيقية ، وهجرة الجسد تابعة لها .

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٧٠ – ٢٨٢ .

فيهاجر المسلم بقلبه من محبة غير الله إلى محبته ، ومن عبودية غير الله إلى عبوديته ، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه . ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه سبحانه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له . وهذا يعني « الفرار » إلى الله كما قال تعالى : ﴿ **ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين** ﴾[1] .

والهجرة إلى الله تتضمن : هجران ما يكره ، وإتيان ما يحبه ويرضاه ، وأصلها الحب والبغض . وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب دواعي المحبة في قلب العبد ، فإن كان الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم وأكمل ، وإذا ضعف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علمًا ولا يتحرك لها إرادة[2] .

وتتلخص أنواع الهجرة سواء ما بقي منها مفروضًا ، أو ما نسخ وما هو غير ذلك في النقاط التالية :

١- الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام :

وكانت فرضًا في أيام النبي ﷺ وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٠ .

(٢) الرسالة التبوكية لابن القيم ، ص١٤ – ١٨ .

٢- الخروج من أرض البدعة :

قال الإمام مالك : (لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سب فيها السلف) .

٣- الخروج عن أرض غلب عليها الحرام :

فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم[١] . وفي هذا الشأن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : أحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلمًا ، وتارة كافرًا ، وتارة مؤمنًا ، وتارة منافقًا ، وتارة فاجرًا شقيًا . وهكذا المساكن بحسب سكانها فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة ، وهذا أمر باق إلى يوم القيامة[٢] .

٤- الفرار من الأذية في البدن :

وذلك فضل من الله عز وجل أرخص فيه فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور . وموسى عليه السلام قال الله فيه : ﴿ **فخرج منها خائفًا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين** ﴾[٣] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ، جـ١ ص٤٨٤ - ٤٨٥ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ، جـ١٨ ص٢٨٤ .

(٣) سورة القصص آية : ٢١ .

obeikandl.com

٥- خوف المرض في البلاد الوخمة والخروج منها :

وقد أذن النبي ﷺ للعرنيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج ، فيكونوا فيه حتى يصحوا . وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون قال ﷺ : ((**إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها**))[١] .

وبعد : فإن الهجرة وغيرها من الأعمال والأقوال مبينة على النية[٢] . كما قال ﷺ : ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**))[٣] .

الهجرة معناها الانتقال وهي نوعان : انتقال « حسي » ومعناه الانتقال من مجتمعات الكفر والشرك إلى مجتمعات الإيمان . أما الانتقال « النفسي » فهو يعني الانتقال من ثقافة مجتمعات غير المؤمنين بنظمها وعقائدها وتقاليدها وتطبيقاتها المختلفة إلى ثقافة الإيمان بمظاهرها وتطبيقاتها ومؤسساتها . وإلى هذا النوع من الهجرة النفسية كانت التوجيهات الإلهية عند قوله تعالى :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، جـ٤ ص١٧٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٨٢ – ٢٨٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي جـ١ ص٩ .

﴿ **والرجز فاهجر** ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ **واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلا**﴾[2].وقوله تعالى :﴿ **فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي**﴾[3].

وإلـــى النوعيـــن مجتمعين من الهجرة كانت الإجابة النبوية عن معنى الهجرة وأشكالها . فلقد سأله أعرابي بقوله : يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة إليك أينما كنت أو القوم خاصة أم إلى أرض معلومة ، أم إذا مت انقطعت ؟ فســكت عنه يسيرًا ثم قال : أين السائل ؟ قال : ها هو ذا يا رسول الله قال : ((**الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، ثم أنت مهاجر ، وإن مت بالحضر**)) [4] .

إن الهجـــرة عنصـــر أساسي من عناصر الأمة المسلمة ولها أهميتها وتتمثل هذه الأهمية في ما يلي :

الأهمـــية الأولى : تخليص المؤمنين من العوز وعدم الأمن ثم إطلاق قدراتهـــم الدفاعية والإنتاجية في أيام السلم والحرب سواء . وإلى هذه النتائج الهامـــة كانت الإشارة عند قوله تعالى : ﴿ **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في**

---

(١) سورة المدثر آية : ٥ .

(٢) سورة المزمل آية : ١٠ .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٢٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، جـ٢ ص٢٢٤ .

الأرض مـــراغمًا كثيرًا وسعة .... ﴾ الآية[1] . والمراغم هو المنعة والقوة ، والسعة هي الغني وسعة العيش .

ولقـــد اســـتمرت الهجرة عاملاً أساسيًا في قوة حركات الإصلاح التي نجحـــت في إخراج العالم الإسلامي من ضعفه في فترات متقطعة وفي أماكن مثل الحركة التي أخرجت جيل صلاح الدين الأيوبي ، وحركة المرابطين .

الأهمـــية الثانية : هي أن الهجرة بمعناها النفسي والحسي تنسجم مع حقـــيقة من الحقائق الكبرى التي يطرحها الإسلام عن الوجود . وهذه الحقيقة هـــي اســـتمرارية الخلق أي أن هذا الكون مازال يُخلق قال تعالى : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾[2] . واستمرارية الخلق ترفد الحياة دائمًا بالجديد من الأفكار والأشخاص والأشياء . والكائنات الجديدة تعزز علاقات جديدة تترجم إلى نظم ومؤسسات جديدة قال تعالى : ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾[3] .

فالهجرة بمعناها الشامل عملية تكليف نفسي وحسي مع حوادث الخلق المستمرة وهي حركة تجديد مستمرة ترتكز على انتقاء العناصر الصالحة من كـــل جيل من البشرية كلها ثم إعدادها لما يناسب الطور الجديد وحمل رسالة الإسلام ، واستمرار الترقي البشري . ومن الملاحظ أن لا يبرز مفهوم الهجرة

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٠ .

(٢) سورة القصص آية : ٦٨ .

(٣) سورة الرحمن آية : ٢٩ .

فـــي الوقـــت الـــذي يشـــاهد أثر قوانين الهجرة التي تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية ، في تجميع العناصر ذات الكفاءات العالمية من أقطار الأرض كلها ثـــم إطـــلاق قدراتها وإرادتها لما فيها قوة الولايات المتحدة واحتلالها مكان الصدارة في العالم كله .

ومن الموضوعية أنه في الوقت الذي يغيب العقل السليم المعاصر عن شـــهود العلاقة بين استمرارية الخلق والهجرة وتجدد عافية الأمم ، فإن الفكر الغربي المعاصر قد أحس بهذه الحقيقة ونظم حياته طبقًا لها ومن الإنصاف أن نقـــول إن العقل الإسلامي في الماضي لم يكن غائبًا دائمًا عن أهمية الهجرة واستمراريتها[١] .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (إن معنى قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا مـــن بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى من بعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم** ﴾[٢] . هو إشارة إلى من اتبع هذا المنهاج إلى يوم القيامة)[٣] . ولذلك لابد للتربية الإسلامية أن تعمل على تحقيق أمرين :

---

(١) الأمة المسلمة د/ماجد الكيلاني ، ص٥٥- ٦٠ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٧٥ .

(٣) فتاوى ابن تيمية ، جـــ١١ ص٣٩ .

الأول : تدريب إنسان التربية الإسلامية على مراجعة الموروثات الثقافية والاجتماعية المنحدرة عن كل جيل . وتنمية القدرة على التفكير واكتشاف الجوانب التي عدا عليها الخطأ في الفهم والتطبيق ، أو تلك التي مضى زمنها وبطل مفعولها ، ثم القدرة على التخلص منها ومن آثارها . فالهجرة مظهر من مظاهر التوبة من الثقافة الخاطئة أو التي بطل مفعولها وما يتفرع عنها من نظم وتطبيقات . والرسول ﷺ يربط بصراحة بين الهجرة والتوبة فيقول : **((لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها))**[1] . فالهجرة توبة ، والتوبة هجرة .

الثاني : تدريب المتعلمين على فقه المثل الأعلى اللازم لزمنهم ثم تنشئتهم على استيعاب تفاصيل المثل الأعلى الجديد ، وبذلك تعدهم لزمن غير زمن آبائهم . ولتتكون لديهم القدرات والمؤهلات اللازمة للغد الذي سيعبرونه ولن يصابوا بالمفاجآت من تطورات المستقبل كما يصاب الذين يشير إليهم قوله تعالى : ﴿ **بل هم في لبس من خلق جديد** ﴾[2][3] .

---

(١) سنن الدارمي ، جـ٢ ص٢٤٠ .

(٢) سورة ق آية : ١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص٦١ – ٦٢ .

رابعًا : الجهاد في سبيل الله :

وهـو مـن أهـم مقتضـيات الولاء والبراء لأنه الفاصل بين الحق والباطل . والجهاد « لغة » المشقة ، و « شرعًا » بذل الجهد في قتال الكفار . ويطلـق علـى مجاهدة « النفس » بتعلم أمور الدين ثم العمل بها ثم تعليمها ، ومجـاهدة « الكفار » فتقع باليد والمال واللسان والقلب ، ومجاهدة « الفساق » بالـيد ثم اللسان ثم القلب . إن العداوة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أما متأصل ، وذلك لأن المنهجين مختلفان ، ويستحيل الالتقاء بينهما . لأن حزب الله يـريد إقامـة كلمة الحق في الأرض وهيمنة الشريعة الإسلامية على كل وضـع . وحـزب الشـيطان يغيظه هذا المنهج فيسعى جاهدًا في سحقه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

إن هذا الدين الحنيف يأمر بدعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والألوهـية . فـإذا لـبوا هذا النداء فهذا هو المراد من بعثة الرسل ، وإنزال الكتـب ، وإن انتكصـوا على أعقابهم فلا بد من جهادهم . قال الله تعالى : **﴿ وقـاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾**[1] .

فالديـن الإسـلامي يـبدأ بدعوة الناس إلى الخير وجدالهم بالتي هي أحسـن ، فإذا قامت عليهم الحجة ثم أعرضوا وجب قتالهم . قال الله تعالى : **﴿ لا إكـراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن**

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾[1] . أي إذا سيطر سلطان المسلمين على منطقة ما فإن أهلها لا يجبرون على اعتناق عقـيدة الإسلام ، ولكن أن يخضعوا لسلطانه . فإن أسلموا فلهم ما للمسلمين وإن طلـبوا البقاء على ديانتهم فعليهم دفع الجزية للمسلمين وإلا فالسيف بينهم وبين المسلمين[2] .

إن أهداف الجهاد في الإسلام أهداف سامية عالية فهو : « يقاتل الكفار لتقرير حرية العقيدة ، ويجاهد ثانية لتقرير حرية الدعوة ، ويجاهد ثالثًا لإقامة نظـام الإسـلام في الأرض » . وتحقيق حرية الإنسان حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ، ويلغى من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها .

وعبودية الجهاد من أشرف أنواع العبودية لله سبحانه وتعالى لأنه « لو كـان الـناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها ، من الموالاة فيه سـبحانه ، والمعـاداة فيه ، والحب فيه ، والبغض فيه ، وبذل النفس له في محاربـة عـدوه ، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى ، وإيثار محاب الله على محاب النفس[3] .

وقـد وردت نصوص كثيرة في فضيلة الجهاد منها : قال تعالى في بـيان منزلة الشهيد وأنه حي عند ربه : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل**

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

(٢) تفسير القرآن ، لابن الكثير ، جـ١ ص٤٥٩ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ، جـ٢ ص١٩٦ .

الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] . والجهاد هو التجارة الرابحة مع الله كما قال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبه في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾**[2] .

أما السنة النبوية الشريفة فقد ورد فيها أحاديث كثيرة في فضيلة الجهاد . منها قوله ﷺ : **((إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض))**[3] . والجهاد ذروة سنام الإسلام كما جاء ذلك في الحديث : **((رأس الأمر الإسلام ، وعاموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد))**[4] .

إن الجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة إلى الله ، والجهاد ليس ملابسة طارئة من ملابسات فترة الدعوة الأولى . إنما هو ضرورة مصاحبة لركب هذه الدعوة . وإنه لا حياة شريفة كريمة في ظل هذا الدين الحنيف

---

(١) سورة آل عمران آيتا : ١٦٩ – ١٧٠ .

(٢) سورة الصف الآيات : ١٠ – ١٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، جـ١ ص١١ .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب الأيمان ، جـ٢٧٩٢ .

إلا بـــالعودة إلـــى ينابيعه الصافية «كتاب الله وسنة رسوله ﷺ » وفهم العقيدة الصحيحة وسيرة سلف الأمة[١] .

إن الجهـــاد والرســـالة من عناصر الأمة المسلمة ، والجمع بينهما في عنصـــر واحـــد ســـببه اقترانها في « القرآن والسنة » اقتران الوسيلة بالهدف فالرســـالة بـــدون جهاد مفضيه إلى مقت الله وغضبه ، والجهاد بدون رسالة نصرة للعصبيات وخدمة للشهوات موجب لعقوبة الله وعذابه ويمكن تلخيص ذلك في التالي :

١- الجهاد :

معـــناه لغويًا : بذل الجهد . أما اصطلاحًا : فهو يعني استفراغ الطاقة بتحقيق الأهداف التي توجه الرسالة الإسلامية في ميادين الحياة : « الفكرية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعمليةّ ، والعسكرية » وغيرها في أوقات السلم والحـــرب سواء . وهذا ما يوجه إليه القرآن الكريم في مواضيع كثيرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فـــي الديـــن من حرج ....** ﴾ الآية[٢] . أي إن الجهاد الذي اختاركم الله من أجلـــه لا ضـــيق فـــيه ولا عنت ، وإنما هو يتناسب مع الوسع والطاقة التي أودعها في خلقكم وتكوينكم[٣] . والرسول ﷺ يرسم الإطار الواسع للجهاد من خـــلال أمريـــن : « **الأول** » طرح معادلات الجهاد العملية في ميدان العمل الإيجابي . و« **الثاني** » التحذير مما يخالفه .

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام ، محمد القحطاني ، ص٢٨٩ – ٢٩٨ .

(٢) سورة الحج آية : ٧٨ .

(٣) تفسير الطبري ، جـــ١٧ ص٢٠٥ .

فالجهـــاد تكنولوجيا الإسلام التي توفر العمل والإنتاج في أوقات السلم والمـــنعة فـــي أوقات العدوان ، والجهاد غايته (هي تأهيل كتلة بشرية لحمل رسالة الإسلام إلى العالم) .

إن المعنى الحضاري للجهاد يعكس مفهوم الأمن الإسلامي الذي يركز على إيصال الرسالة وتبليغها إلى الآخرين بغية توفير الأمن الفكري والمادي والنفسي لبقاء النوع البشري ورقيه . ومصدر الخطر على بقاء النوع البشري ورقـيه حســب التصـــور الإسلامي يكمن في « القيم » التي تكفر أي تحجب وتخفي قوانين الخلق في النشأة والمصير ، وتقتصر على نوازع التمتع بالحياة وشـــهواتها . حـــتى إذا ظهـــر أهل الكفر في الأرض أشاعوا الفتن والمظالم السياســـية ، والمفاسد الاجتماعية وردوا شبكة العلاقات الاجتماعية إلى عهود الغـــاب والهمجـــية والتخلف . ولذلك كان طلب بذل النفس لمحاربة قيم الكفر ومؤسســـاته ، وبـــذل المـــال لنشـــر قيم الرسالة الإسلامية وإقامة مؤسساتها والإنفـــاق على العاملين والدارسين فيها حتى يتحقق التفوق للقيم الإسلامية ، فيشيع السلام ويكون الدين كله لله . وهذا المفهوم الإسلامي للأمن والسلام[1] .

مظاهر الجهاد :

لا يكـــون الجهاد أصيلاً شاملاً ما لم تتابع التربية وظيفتها في تأصيل معناه ، وتتباين مظاهره وتفصيلها حسب متطلبات الزمان والمكان والذي يقرر عمل

---

(١) الأمة المسلمة ، د/ماجد الكيلاني ، ص٦٣ – ٦٤ .

التربـــية فـــي هذا المجال عدة عوامل منها : « درجة تطور البشرية ، ونوع الـــتحديات القائمة » . وتنقسم مظاهر الجهاد إلى ثلاثة مظاهر رئيسية يندرج تحت كل منها تطبيقات عملية لا حصر لها ولا نهاية . وإنما هي تتجدد بتجدد الخلـــق الجديد من تجديد في القيم والوسائل والعلاقات والمؤسسات ، أما عن هذه المظاهر الرئيسية فهي :

١- الجهاد التربوي :

يســـتهدف تزكية الإنسان المسلم من منزلة الخضوع للغرائز والدوافع التـــي تبقـــية حبـــيس الشهوات والانفعالات الفردية . والإرتقاء به إلى منزلة تحقـــيق الذات التي يحقق الإنسان عندها إنسانيته فيسترشد بتفكيره وعقله عن الخـــالق والكون والإنسان والحياة . ويشير القرآن الكريم إلى المنزلة الأولى الدنـــيا باســـم : ﴿ **أسفل السافلين** ﴾[١] . بينما يشير إلى المنزلة الثانية العليا باســـم : ﴿ **أحسن تقويم** ﴾[٢] . والجهاد بالشكل المذكور عمل يجب أن يعتمد علـــى التخطـــيط العلمي والإعداد الدقيق . ولذلك رفع رسول الله ﷺ الجهاد الـــتربوي والعلمـــي إلى منزلة الجهاد في ميدان القتال وساوى فيه بين مداد العلماء ودماء الشهداء[٣] .

---

(١) سورة التين آيتا : ٤ – ٥ .

(٢) تفسير الطبري ، جـــ١٧ ص٢٠٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص٦٥ ، فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوي ، جـــ٦ ص٤٦٦ .

٢- الجهاد التنظيمي :

وغايــة هذا الجهاد تنظيم « وسع » الأمة حسب التعبير القرآني ، أي طاقاتها وقدراتهــا المعــنوية والماديــة والبشــرية ، والتنسيق بينها بما يكفل حشدها وتكاملهــا دون هدر أن نقص لتحقيق أهداف الرسالة . ويوجه القرآن الكريم إلــى أن « أمة المؤمنين » حين تفقه هذا الجهاد التنظيمي وتتقنه وتصبر على تكالــيفه النفســية والمادية فإن ما تحتاجه من الأفراد المؤمنين في هذا الجهاد ســتكون نسبة عددهم « ١ – ١٠ » مقارنة بما تحشده « أمة الكفر » . والسبب في ذلك هو انسجام « فقه » المؤمنين مع نواميس الخلق ، « وجهل » الكافرين بهــذه النوامــيس واصطدامهم بها مما يجعلها تعمل لصالح معسكر المؤمنين وهزيمة معسكر الكافرين ، قال الله تعالى : ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبون ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهــون** ﴾[١][٢] . أي لا يفقهــون نظــم الحشد والإعداد النفسي والمادي ، وأســاليب القتال ، وكذا الاستفادة من استراتيجية الموقع والتوجيه المعنوي ، وأهمية الهدف الذي يتم من أجله الحشد والجهاد .

والجهاد التنظيمي بهذا المفهوم لا يكون عملاً فرديًا ، وإنما هو مظهر إستراتيجي يقتضي من الأمة أن تقي له مؤسساته التربوية والعلمية والتطبيقية، ولا بــد مــن تجــدد علومــه والارتقــاء بمؤهــلات العامليــن فــيه[٣] .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٦٥ .

(٢) تعليق : وهذه الآية منسوخة بالآية التي بعدها قال الله تعالى : ﴿ **ألا إن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا فإن يكن منكم ألف يغلبون ألفين بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ سورة الأنفال آية : ٦٦ .

(٣) المرجع السابق ص٦٥ – ٦٦ .

٣- الجهاد العسكري :

الجهـــاد العسكري في الإسلام شرع ليكون : « الدين لله أو للدفاع عن مصالح البلاد » .

ويـــتجلى اقـــتران هذا النوع من الجهاد بالرسالة الإسلامية من خلال الضوابط العقيدية والأخلاقية التي تحكمه وتوجهه بحيث لا يخرج لحظة واحدة عـــن غايات الرسالة وأهدافها . وحين يتحقق هدف من أهداف الرسالة دون قتال يتوقف الجهاد القتالي . والأمثلة على ذلك واضحة في التطبيقات النبوية . فعـــن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : ((بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصـــبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته)) . فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال : ((**يا أسامة أقتلته بعد أن قال إلا إله إلا الله ، قلـــت : كـــان متعوذًا أي يتظاهر بقولها ليعوذ من القتل . فما زال النبي ﷺ يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم**))[١] .

ولقـــد كانت بقية مواقف النبي ﷺ مع الخصوم نماذج للعفو والامتثال للتوجـــيهات الإلهية التي تقرن الجهاد بالرسالة . فقد نال ﷺ القسط الأكبر من الأذى والضرر ، ومع ذلك كان يضبط أحزانه ويتناسى آلامه وثأره ممن أبلغ الجرح فيه .

---

(١) البخاري ، تجريد الصحيح غزوة مؤته ، جـــ٢ ص٨٣ .

فالمظهر القتالي للجهاد يصبح مبررًا ومعمولاً به حين تشيع قيم الكفر وتنتشر العدوان . ولكن بروز اتجاهات الحوار بين المجتمعات الإنسانية « ينسخ » مظهر الجهاد القتالي . فإن النسخ أو رفعه يطبقان على مظاهر الجهاد حسب الظروف والمناسبات . وتحتل المظاهر السلمية للجهاد منزلة الأولوية في كل سياق قرآني حسب تدرج معين يشمل الجهاد بالمال ، فإذا لم يكف دعمته مقدرات النفس العقلية والتنظيمية ومقدرات العمل والإنتاج ، وأخيرًا المقدرات القتالية مع بقاء الباب مفتوحًا لأية لحظة يوقف فيها سفك الدماء ويجنح للسلم .

وتتضح أهمية الجهاد القتالي في حياة الإنسانية كلها حين نرى أن الأفكار والمعتقدات التي تسود العالم عند غير المسلمين لم تتخل عن حب العدوان والسيطرة لاستعباد الآخرين ، ونهب مقدراتهم وإشاعة التخلف في حياتهم . فالغرب يعتبر القتال أداة حيوية من أدوات الصراع تطبيقًا لمسلمة الصراع والبقاء للأقوى . وأمام هذه العقلية غير المسلمة التي تعتمد الصراع أساسًا في علاقتها مع بقية المجتمعات البشرية يبرز الجهاد الإسلامي رادعًا للفتنة والفساد . لذلك لا يكون الجهاد إسلاميًا إلا إذا اقترن بالرسالة الإسلامية . فالرسول ﷺ يوضح : ((**أن الرجل يقاتل شجاعة ، والرجل يقاتل غضبًا وحمية عصبية ، والرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل**

يقاتل رياء ، فمن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))[1] .
وكلمة في سبيل الله هي الرسالة الإسلامية[2] .

الرسالة الإسلامية :

ومعـــنى الرسالة يتكرر في مئات المواضيع من سور القرآن الكريم . أمـــا فـــي الآية التي حددت الإطار العام لعناصر الأمة المسلمة ، فقد وردت الإشـــارة إلى الرسالة عند قوله تعالى : ﴿ **في سبيل الله** ﴾ . وتقسم محتويات الرســـالة إلى : « الأمر بالمعروف » ومحوره الدعوة إلى التوافق مع سنن الله وأقداره وقوانينه في الوجود القائم ، « النهي عن المنكر » ومحوره التحذير من الاصـــطدام بســـنن الله وأقـــداره وقوانينه في الوجود القائم ، « الإيمان بالله » ومحورها الإيمان بقدرته وهيمنته وأنه الملك المتصرف بالوجود كله . وهذه العناصر الرئيسية التي تتكون منها الرسالة متضمنة في قوله تعالى : ﴿ **كنتم خـــير أمـــة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[3] .

والمعروف الذي تشير إليه الآية اسم جامع لكل ما ينفع الجنس البشري ويرتقـــي بســـلوكهم والعلاقـــات المتـــبادلة بيـــنهم . ولذلك حين سأل رجل رسول الله ﷺ عن المعروف أجابه : ((**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تعطي صلة الحبل ، ولو أن تعطي شسع النعل ، ولو أن تفرغ من دلوك في**

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، جـــ١٣ ص٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٦ – ٧٠ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

إنـــاء المستسقى ، ولو أن تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم ، ولو أن تلقـــي أخاك إليه منطلق ، وإن سبك رجل بشيء يعلمه فيك وأنت تعلم نحوه فلا تسبه ، فيكون أجره لك ووزره عليه ، وما سر أذنك أن تسمعه فاعمل به ، وما أساء أذنك أن تسمعه فاجتنبه))[1] .

ومن الواضح أن التعريف النبوي « للمعروف » في الحديث المذكور ، لم يتناول المعروف كله وإنما راعى مستوى السائل وبيئته ووجه انتباهه إلى ما يشيع في تلك البيئة . ولكن البحث الشامل في ما يوجه إليه القرآن والحديث النبوي الشريف يظهر أن « المعروف » و « المنكر » يشملان شبكة العلاقات الاجتماعـــية بين الأفراد والشعوب والأمم . وأن كل ما ينفع الإنسان ويورث الانســـجام مع سنن الله وقوانينه في الخلق يندرج في قائمة « المعروف »وما يضر البشر ويصطدم مع هذه السنن والقوانين يندرج في قائمة « المنكر » .

للرسالة أهمية رئيسية في نشأة الأمم وتكوينها ومصيرها ، وتبدو هذه الأهمية في الأمور التالية :

الأمـــر الأول : تـــتكرر مكانة الأمة بين الأمم على المستوى العالمي بمقدار ما تقدمه من عطاء حضاري للآخرين . وهذا العطاء هو الرسالة التي تحملهـــا الأمـــة بين الأمم الأخرى ، وتضع في خدمة الرسالة كافة امكاناتها ومصادرها البشرية والمادية والمعنوية .

الأمـــر الثانـــي : إن هـــذا العطـــاء الحضاري هو الأمن لبقاء الأمم واستمرارها ، ذلك أن الأمة التي تتوقف عن العطاء تبدأ بالأخذ . والأخذ الذي

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، جـ١٩ ص٢٠١ .

لا يــرافقه عطـــاء متبادل سبب من أسباب الذوبان وفناء الأمم . ولكنه فناء بطـــيء يـــتم على مراحل قد تستغرق كل مرحلة منها جيلين أو ثلاثة . وهي كالتالي :

المرحلة الأولى : تأخذ الأمة الأشياء المادية كالمنتجات الصناعية .

المـــرحلة الثانية : تأخذ الأمة العادات المادية كأشكال اللباس والأثاث وأشكال الطعام .

المـــرحلة الثالثة : تأخذ الأمة المظاهر الثقافية كاللغات ونظم الإدارة والنظم الدبلوماسية والعلاقات الاجتماعية والفنون وأشكال الترويج .

المرحلة الرابعة : تأخذ الأمة القيم والمقاييس الاجتماعية والأخلاقية .

المـــرحلة الخامســـة : تأخذ العقائد . وعند هذه المرحلة تنهار جميع الحواجز ويبدأ الذوبان الكامل .

والأمم التي تعي قوانين هذا الذوبان تحاول أن تتجنبه من خلال تجديد دورها في العطاء الحضاري ، واستئناف العطاء ليتوفر لها البقاء والتميز في الداخل والاحترام في الخارج .

الأمـــر الثالـــث : الذي يمثل أهمية هذه الرسالة في حياة الأمة هو أن الرسالة حالة نفسية اجتماعية . والأمم التي تحمل رسالة تحفظ وحدتها وتجنب مجتمعها من الانقسام والتفتت والحزبية والطائفية والتصارع من أجل المصالح والعصـــبيات المحدودة . وأن « الرسالة » توحد أفراد الأمة وجماعاتها حول هدف أسمى يستهلك طاقاتهم ونشاطاتهم فتختفي الانقسامات والفتن . أما حين

تغيب الرسالة فإن الناس تتقاسمهم أهداف فردية ومصالح عصبية ، وبذلك تبرز الحزبية والعصبيات ، وتشيع الفتن ، وتتفرق الأمة إلى فئات متنابذة متصارعة وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا ويستبدل قومًا غيركم** ﴾[1] .

ولقد علق ابن تيميه « رحمه الله » على هذه الآية فقال : (قد يكون العذاب من عنده ، وقد يكون بأيدي العباد . فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم الفتنة كما هو في الواقع . فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم ، وجعل بأسهم على عدوهم وعدو الله . وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض)[2] .

وفي موضع آخر يحذر الله تعالى من نتائج التخلي عن حمل الرسالة وتكاليفها في الإنفاق والجهاد قال تعالى : ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾[3] . وتلقي هذه الآية ضوءًا ساطعًا على الأثر المنيع للرسالة والجهاد في الحفاظ على وحدة الأمة ونجاحها .

وتتحمل التربية الإسلامية مسؤولية كبيرة إزاء هدف الرسالة ووسائل حملها وغرس الولاء لها ، وهذه المسؤولية تتمثل في : «تبلور مضمون رسالة العصر التي يجب على الأمة حملها ، وعن كيفية إخراج الأمة المسلمة

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٩ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ، التفسير ، جـ١٥ ص٤٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٥ .

وصـــيانتها مـــن الضـــعف والـــتفكك وتطويـــرها حسب متطلبات العصور والأجـــيال » . ويتـــبلور مضـــمون الرسالة من خلال النظر في : « حاجات العصر الحاضر ، مصادر قيم الرسالة والسنة ، تاريخ فقه الأسلاف المسلمين وخبرات غير المسلمين وما أنجزوه من مظاهر حكمة بناء الأمم نقدًا وتحليلاً وإيجابًـــا وســـلبًا ، تاريخ المجتمعات البشرية وكيف عملت قوانين الخلق في تطورها إيجابًا وسلبًا » .

ومـــن الطبيعي أن يلحق بمحتوى الرسالة العناية « باللغة » التي تحمل هـــذا المحـــتوى وتـــنقل معانية للآخرين . وتنفرد الرسالة الإسلامية في هذا المجـــال فـــي أن شيوع اللغة العربية والارتقاء بدراستها بين المؤمنين بهذه الرســـالة أمـــر ترتقي ضرورته إلى مستوى الرسالة نفسها . لأن إتقان اللغة العربية هو وحده الذي يمكن المؤمنين في أي مكان وزمان من : « قراءة اللغة الإلهية في القرآن الكريم ، وقراءة النصوص الأصلية للحديث النبوي الشريف واستخراج حاجات العصر بما يتحقق المعاصرة والواقعية والأصالة » . ويقدم لـــنا التاريخ الإسلامي الأدلة الوافرة الكافية على أن انتشار اللغة العربية في الأقطار المفتوحة قد أسهم إلى حد كبير في فقه الرسالة نفسها ، وتطوير ثقافة إســـلامية مشتركة دعمت العناصر الرئيسية للأمة وقوتها وشدت بعضها إلى بعـــض . وحيـــن انحســـرت اللغة العربية من أقطار الإسلام الواقعة خارج المـــنطقة العربية . انحسرت الثقافة الإسلامية ، وفتح الطريق لعودة الثقافات المحلية القديمة غير الإسلامية بقيمها وتقاليدها وتطبيقاتها المختلفة[1] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٧٠ – ٧٦ .

خامسًا : الإيواء :

عنصر من العناصر التي تتكون منها الأمة المسلمة ، وأما عن معاني الإيواء في القرآن الكريم فهي كما يلي :

١- **الإيـــواء :** بمعنى « الموطن ومكان الإقامة الدائمة » . مثل قوله تعالى : ﴿ **فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون** ﴾[١] .

٢- **الإيواء :** بمعنى « حسن الاستقبال والتكريم » . مثل قوله تعالى : ﴿ **ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه** ﴾[٢] .

٣- **الإيـــواء :** بمعنى « الرعاية والعناية » . مثل قوله تعالى : ﴿ **ألم يجدك يتيمًا فآوى** ﴾[٣] .

٤- **الإيـــواء :** بمعنى « الاستقرار النفسي والاجتماعي » . مثل قوله تعالى : ﴿ **ترجي من تشاء منهن وتؤي إليك من تشاء** ﴾[٤] .

٥- **الإيواء :** بمعنى « طلب الأمن والنجاة ».مثل قوله تعالى:﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمةً وهيئ لنا من أمرنا رشدًا** ﴾[٥] .

---

(١) سورة السجدة آية : ١٩ .

(٢) سورة يوسف آية : ٦٩ .

(٣) سورة الضحى آية : ٦ .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥١ .

(٥) سورة الكهف آية : ١٠ .

٦- **الإيـــواء :** بمعنى « السند والدعم والملجأ والحماية » . مثل قوله تعـــالى : ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره** ﴾[١] .

٧- **الإيـــواء :** بمعـــنى « الـــراحة والاسترخاء » . مثل قوله تعالى : ﴿ **قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت** ﴾[٢] .

وأمـــا عن التطبيقات العملية « للإيواء » في مجتمع رسول الله ﷺ في المدينة المنورة فهي تتألف من أمرين اثنين :

الأول : مـــا قدمه الأنصار للمهاجرين من استقبال كريم ، وإقامة أمنة مريحة ، ومؤاخاة عملية قامت على المشاركة الكاملة في الحياة والمصير .

الثانـــي : مـــا قام به الرسول ﷺ من تنظيم العلاقات الاجتماعية بين مخـــتلف الجماعـــات التي سكنت المدينة في زمنه مستهدفًا تجسيد الإيواء في واقع عملي ينعم الجميع فيه بمقومات العيش الكريم .

وإن مظاهر الإيواء حسب متطلبات الزمان والمكان في ضوء الخطوط العريضـــة التـــي يوجه إليها القرآن الكريم . وأهم هذه الخطوط « تقدير قيمة الأرض واســـتعمارها التي وجه الله إليها » . ولما كان الإيواء بالمفهوم الذي يطـــرحه القرآن الكريم لا يمكن فرضه على الإنسانية ابتداء وفي آن واحد .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٦ .

(٢) سورة الكهف آية : ٦٣ .

فإن الحكمة الإلهية ركزت على وجوب إخراج جماعة من البشر تدرب على تطبـــيق هذا الإيواء ثم تقدمه نموذجًا محسوسًا للإنسانية كلها ، وهذه الجماعة المشـــار إليها هي الأمة المسلمة . ويتكرر ذكر الأرض في القرآن الكريم في « ٤٦٦ » موضعًا ، ويمكن تصنيف التوجيهات القرآنية المتعلقة بالأرض إلى :

التوجـــيه الأول : « حســـن الانتفاع بالأرض كمكان للإيواء والسكن والاستقرار » :

الأســـاس فـــي الإيواء أن يتوفر لكل إنسان حاجته في الاستقرار بغية الـــتفرغ لتحقـــيق الذات المتمثلة في معرفة الخالق واستشراق قدرته وطاعته ومحبته ، ثم الحكمة من النشأة والحياة والمصير . ولتحقيق أسباب الاستقرار النفسي أرسل الله تعالى رسله بالتوجيهات إلى ترسيخ مقومات هذا الاستقرار وتتكون هذه التوجيهات من قسمين :

« **القســـم الأول** » : قيم رئيسية يتفرع عنها قيم فرعيه غايتها الصلاح والإصلاح المفضي إلى الاستقرار وتجسيد الإيواء في الأرض مثل : « إشاعة العـــدل وجعله محور العلاقات البشرية ، التواضع في الأرض واتخاذه أساسًا للأخلاق ، التوسط في إنتاج موارد الأرض واستهلاكها » .

والأصل الذي تنبع منه هذه القيم الثلاث الرئيسية هو معرفة الله تعالى وتوحيده في العبادة والطاعة .

« **القسم الثاني** » : التوجيهات الإلهية للتحذير من منكرات رئيسية تتبع جميع أشكال الإفساد في الأرض ، ويهدم استقرار الإنسان . **وهذه المنكرات الرئيسة هي :** « شيوع الظلم في الأرض وسريانه في العلاقات البشرية ، العلو والتكبر في الأرض ، الإسراف في إنتاج موارد الأرض واستهلاك خيراتها » . والمصدر الرئيسي لهذه المنكرات وأشكاله ، هو الكفر بالله أو الشرك به ومعصيته والتنكر لهديه .

التوجيه الثاني : حسن الانتفاع بالأرض كمصدر للعيش والغذاء :

الأرض أعظم مصادر العيش والحياة بدون منازع ، وللانتفاع بالأرض كمصدر للعيش قاعدتان : « الأولى » الإقامة في الأرض حيث تتوفر الحرية خاصة حرية العبادة ، قال الله تعالى : ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون** ﴾[1] . أي هاجروا واستقروا حيث تستطيعون عبادتي شاملة غير مجزأة و« الثانية » حرية السفر في مناكب الأرض كلها للتجارة والعمل . وإلى هذه الحرية الثانية يشير القرآن الكريم بتعابير « الضرب في الأرض » و « السعي في مناكبها » .

التوجيه الثالث : اشتراك الإنسانية كلها للانتفاع بموارد الأرض وخيراتها .

وهو مايوجه به قوله تعالى:﴿**كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾[2].

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٦ .

(٢) سورة الحشر آية : ٧ .

وإن الحكمة من قوله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾[1] . فـ « الباطل » هو أن يحتكر البعض دون الآخر ، أو يستأثر بوافره دون الآخرين . لأن الأصل في مفهوم الأمة المسلمة أنها كالجسد الواحد ، وأن الغاية هي توفير أمنها مجتمعة . فإذا ظهر التفاوت وصار المال دولة بين الأغنياء وحدهم انعكست آثار ذلك على الجميع . فالأصل في المال أنه لله وأن الأمة لها حق الانتفاع به شريطة أن لا يخرج مفهوم المال عن كونه « ماعونًا » يعين الناس على إقامة أمور دينهم ودنياهم[2] .

إن الأصل في الاقتصاد الإسلامي هو ضمان حاجات الأمة . وإن تربية الرسول ﷺ للمجتمع الذي بناه قامت على جعل هذا التوازن الاقتصادي محور الحياة الاجتماعية لأنه يجسد المظهر الاجتماعي للعبادة . وهذا المظهر هو محور صدق العبادة ، والأمثلة لهذه السياسية النبوية كثيرة جدًا ، ومن أمثلتها قوله ﷺ : ((**المسلمون شركاء في ثلاثة :في الماء والكلأ والنار**))[3] .

والإشارة إلى الموارد الثلاثة بالأسماء الواردة في الحديث إنما هي إشارة إلى مقومات الحياة الرئيسية في تلك البيئة الصحراوية في تلك المرحلة من تاريخ المجتمع الإسلامي . إذ الأساس في « الإيواء » هو توفير الأمن

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٨ .

(٢) تفسير الطبري ، جـ١٠ ص١١٧ – ١٢١ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ١٥ ص١٣٢ .

الاقتصـــادي والاجتماعـــي المفضـــي إلـــى الأمـــن الديني . ومن توجيهات الرســـول ﷺ فـــي ذلك : ((**ما عظمت نعمة من الله على عبد إلا اشتد عليه مـــئونة الـــناس . فمن لم يحتمل تلك المئونة للناس فقد عرض تلك النعمة للزوال**))[1] .

التوجـــيه الرابع : حسن الانتفاع بالأرض كمصدر للمعرفة الموصلة إلى الله تعالى :

إن مظاهر الانتفاع بالأرض ليست أهدافًا نهائية في ذاتها ، وإنما هي أهـــداف خاصـــة تفضي إلى هدف كبير وهو حسن الانتفاع بالأرض . وذلك باعتبارها أحد مختبرات الآفاق والأنفس التي يشاهد الإنسان فيها معجزات الله فـــي خلقه وشواهد ربوبيته ، وتوحيد ربوبيته في الطاعة والمحبة والولاية . وإلى هذا الهدف يوجه أمثال قوله تعالى : ﴿ **إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين** ﴾[2] .

ويلفـــت القـــرآن الكـــريم الانتباه إلى أن كثيرًا من الأجيال السابقة قد عمرت الأرض . وجعلت العلوم التي ساعدتها على التمكين في الأرض غاية بذاتهـــا ، وفرحـــت بها وتكبرت وبطرت وانصرفت عن الغاية الكبرى وهي « طاعـــة الله تعالى » ، وتجسيد هذه الطاعة في الإصلاح في الأرض ، فكان

---

(١) كنز العمال ، جـ٦ ص٦٤٩ نقلاً عن الطبراني في الكبير.

(٢) سورة الجاثية آية : ٣ .

مصـــيرها أن نـــزل بها ما كانت تستهزئ بالآخرين منه من ضعف وتخلف وانهـــيار . وهـــذا هـــو الخطر الذي يتهدد الحضارة الحديثة التي فتنها التقدم العلمي فراحت تحارب الله ورسله في كل الميادين . ويرتكب الخطأ نفسه في الفـــرح بالعلم والوقوف عند ثمراته المادية دون الانتقال إلى غايته الإيمانية . قال الله تعالى : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارًا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكســـبون ، فلما جاءتهم رسلهم بالبيانات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾[1] .

وتـــتكرر الدعوة على السير في الأرض شريطة أن تكون غايات هذا السير استعمال أدوات المعرفة من العقل والسمع والبصر للبحث عن مظاهر الحق في خلق الأرض لا سير الغافلين عما يرون ويسمعون . قال الله تعالى : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[2] . والمحصلة النهائـــية لهـــا السير في الأرض والبحث في خلقها وما عليها والأحداث التي جرت فوقها . هي تخريج نوع من البشر يظلون في قراءة دائمة لآيات الأفاق والأنفس[3] .

---

(١) سورة غافر آيتا : ٨٢ – ٨٣ .

(٢) سورة الحج آية : ٤٦ .

(٣) الأمة المسلمة د/ ماجد عرسان الكيلاني ، ص٧٧ – ٩٢ .

الإسلام بين دعوى التعصب والتسامح مع الكفار

قد يتبادر إلى ذهن البعض منا أن الإسلام يأمر بالانطواء وعزلة عن غـير المسـلمين ، وأنـه يربـي أتباعه على إضمار الحقد والكراهية لغير المسـلمين . وأن أتـباعه يتعصـبون لأنفسهم وأهل عقيدتهم دون أن يراعوا حقـوق الطوائـف الأخرى . ولا شك أن هذا الفهم الخاطئ مبعثه الجهل أو الحقد الدفين في النيل من الإسلام والمسلمين . وإلا فالحقيقة أنه لم يوجد مبدأ مـن المبادئ في الكون كله وعبر تاريخه الطويل تسامح مع أعدائه وعاملهم بـالعدل مثل الدين الإسلامي . إن هؤلاء الذين يظنون وهم واهمون إنه يمكن أن يقوم بيننا وبين الكفرة ولاء تناصر ندفع به المادية إلا لحادية عن الدين : لا يقرأون القرآن الكريم وإذا قرؤوه اختلط عليهم دعوة « السماحة » التي هي طـابع الإسلام فظنوها دعوة « الولاء » الذي يحذر منه القرآن . وإن هؤلاء الذيـن تخـتلط علـيهم تلك الحقيقة بحقيقة العقيدة ، وينقصهم الوعي لطبيعة المعركة وطبيعة أهل الكتاب فيها ، ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها . فإنهم يخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكـتاب والـبر بهـم في المجتمع المسلم ، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ولرسوله وللجماعة المسلمة .

يقول سيد قطب « رحمه الله » إن سماحة الإسلام مع أهل الكتب شيء واتخـاذهم أولياء شيء آخر . ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم

تتضـــح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته الذي يهدف إلى إنشـــاء واقع في الأرض وفق التصور الإسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصورات التي تعرفها البشرية .

إن الديـــن الذي نزل على رسول الله ﷺ هو الدين عند الله . والتسامح يكـــون فـــي المعاملات الشخصية ، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعـــي . أمـــا هؤلاء فيحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلاً ، ولا يقبل فيه تعديلاً ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾[1] . وقال الله تعالى : ﴿ **ومن يبـــتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه** ﴾[2] . الإسلام وقد جاء ليصحح اعتقاد أهـــل الكتاب كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنين سواء ، ودعاهم علـــى الإسلام جميعًا لأن هذا هو « الدين » الذي لا يقبل الله غيره من الناس جميعًا . والمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام ، كما يدعو الملحدين والوثنين سواء ، وهو غير مأذون في أن يكره أحدًا من هؤلاء على الإسلام . لأن العقائد لا تنشأ في الضمائر بالإكراه في الدين فوق أنه منهي عنه[3] .

لا يوجد مبدأ من المبادئ تسامح مع أعدائه وعاملهم بالعدل مثل الدين الإسلامي . وهذا القول ليس مجرد ادعاء واقع يشهد له التاريخ وتبرهن عليه الأحـــداث ، فالرسول ﷺ عندما أقام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة عقد معـــاهدة بين المسلمين من جهة واليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جـــ٢ ص٩٠٩ – ٩١٥ .

أخـــرى وادعهم فيها وأمنهم على دينهم وأموالهم . فلو كان الرسول ﷺ بغير هـــذه الصفة لما احتاج أن يوقع معهم معاهدة تعاون وحسن جوار ، ويضعهم أمام خيارين لا ثالث لهما : « إما التبعية المطلقة ، أو الموت » .

وفي فتح مكة المكرمة دليل واضح وبرهان ساطع على تسامح الإسلام ورحمـــته حـــتى بأعدائـــه . فهل عرف التاريخ أن جماعة غلبت على أمرها وطـــردت مـــن بلدها ، وأوذيت في نفسها ومالها . فلما استطاعت العودة إلى ديارهـــا ، وتمكنـــت من رؤوس أعدائها لم تمتد يدها إلى عدوها بسوء ، ولم تأخذ فيه بثأر . وهل عرف التاريخ أن عدوين يلتقيان بعد طول صراع مرير مخضب بالدماء ، فلا يكون في لقائهما شحناء ولا بغضاء . إنها روح الإسلام الخـــالدة ، التي لا تنتصر للنفس والذات بقدر ما تنتصر للإسلام . إنها القيادة الرحيمة حتى بمن كانوا بالأمس أعداءها . إنه رسول الله ﷺ ، الداعية الذي لا يجـــد الحقد على مقاوميه إلى نفسه سبيلاً . فلم يرد بدعوته ملكًا ولا سيطرة ، وإنما أراد الله له أن يكون هاديًا وفاتحًا للعقول والقلوب[1] .

وفـــي كـــتاب كتبه النبي ﷺ لأساقفة نجران قال : (**بسم الله الرحمن الرحـــيم مـــن محمـــد النبي لأسقف أبي الحارث ، وأساقفة نجران وكهنتهم ورهـــبانهم وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير . جوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفته ، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ، ولا يغير حق من حقوقهم ، ولا سلطانهم ولا كانوا عليه من ذلك . جوار الله ورسوله**

---

(١) تهذيـــب ســـيرة ابـــن هشام ، عبد السلام هارون ، ص٤٠ . الرسول القائد ، محمود شيت خطاب ، ص٥٧ .

أبــدًا مــا أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين)[1] . وهذا الكتاب يبين مدى التسامح مع النصارى واحترام حقوقهم وأنهم لا يظلمون ولا يظلمــون . وقد سار على ذلك خلفاء رسول الله ﷺ وصحابته ومن تبعهم من القادة الفاتحين .

فهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما فتح المسلمون مصر كتب بيده أمانًا للبطريق « بنيامين » ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء ثلاث عشر سنة . وأمر عمرو باستقباله عندما قدم من الإسكندرية أحسن استقبال .

وعندما تمكن القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي من دحر الصليبين بعد تسعين سنة من مجازر الغدر والخيانة والفساد في الأرض لم يعاملهم بالمثل . إذ أنه لما أسلمت له الحامية النصرانية ، أمنهم على حياتهم ، وكانوا أكثر من مــئة ألف نسمة وسمح لهم بالخروج في أمان وسلام . وأعطاهم مهلة أربعين يومًــا للخــروج ، وقام بمداواة جرحاهم ، وتمريض مرضاهم ، وسمح لهم بحمل ما يحملون من أموال منقولة .

وعــندما هجــم قائد التتر « قطلوه شاه » على دمشق وأسر عددًا من المسلمين والذميين من اليهود والنصارى . ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معــه جمع من العلماء ، وطلبوا فك الأسرى فسمح لهم قائد التتر بأسرى المســلمين دون غــيرهم . فرفض الشيخ ومن معه وقالوا : لا بد من افتكاك جمــيع الأسرى هم أهل ذمتنا ، ولا نرضى ببقاء أسير من أهل الملة ولا من

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، جـــ٥ ص٥٥ .

أهـل الذمـة ، فـإن لهم مالنا وعليهم ما علينا ، فأطلق القائد التتري جميع الأسرى .

وإن هـذا غـيض مـن فيض موجز يبين أن الإسلام يقف مع الكفار موقـف رزن رشـيد ، في السماحة من غير ذل وهوان . فأصحاب الإسلام لا تـنطوي ضـمائرهم على الغل والحقد والدس والمكر بالآخرين . فسماحة الإسـلام يتعامل المسلم مع الناس جميعًا على أساس العدل والاحترام المتبادل دون أن يكون ذلك على حساب الاستهانة بالعقيدة الإسلامية وشعائر الإسلام . فالمعاملـة شـيء ومحبة القلب ومودته للكفار شيء آخر ، حيث أن الإنسان يـتعامل في أغلب الأحوال مع من يحب ومن لا يحب في بيعه وشرائه ونحو ذلك[1] .

إن عداوة الكفار للمسلمين عداوة متأصلة ، لا تغسلها سماحة أو مودة مـن المسـلمين للكفار أو حسن صحبة لهم . قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمـنوا لا تـتخذوا بطانـة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضـاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾[2] . فالتحذير في هذه الآية ليس مقصورًا على فترة تاريخية معينة . وإنمـا هـو حقـيقة دائمة تواجه واقعًا دائمًا . وقد نلاحظ ذلك في ماضينا المعهـود وحاضـرنا المشـهود ، وقد بين الله ذلك في آيات متعددة قال الله تعـالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا**

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ، علي منصور ، ص ٣٥٨ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٨ .

مـــن عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾[1] . وقد عبرت الآية عن قوة الإصرار والاستمرار في العداوة من قبل الكفار .

وهـــناك بعـــض النماذج الواقعية عبر فترات تاريخية متباعدة لنبرهن على تسامح الإسلام وتعصب أعدائه ضده ، عندما تكون الغلبة على المسلمين ونســـتدل علـــى تعصـــبهم من أقوالهم وشهادة بعض المنصفين منهم يقول : « جـــيون » إن الصـــليبين خـــدام الرب ، يوم استولوا على بيت المقدس في « ١٠٩٩/٧/١٥م » ، رأوا أن يكـــرموا الرب بذبح « سبعين ألف » مسلم . ولم يـــرحموا الشـــيوخ ولا الأطفـــال ولا النساء ، في مذبحة استمرت ثلاثة أيام بلياليـــها ، ولـــم تنـــته إلا لما أعياهم الأجهاد من القتل . فقد حطموا رؤوس الصبيان على الجدران ، وألقوا بالأطفال الرضع من ظهور المنازل ، وشووا الـــرجال والنســـاء بالـــنار ، وبقـــروا البطون ليروا هل ابتلع أهلها الذهب . ثم يقول : كيف ساغ لهؤلاء بعد هذا كله أن يضرعوا إلى الله طالبين البركة والغفران[2] .

وما فعله « الصليبيون » في الأندلس عندما تغلبوا على المسلمين ، فقد قـــال أحد كتابهم « جوستاف لبون » : لما أجلى العرب سنة « ١٦١٠م » اتخذ جميع الذرائع للفتك بهم فقتل أكثرهم ، وكان مجموع من قتل إلى ميعاد الجلاء « ثلاثـــة ملايـــين »مـــن الناس . في حين أن العرب لما فتحوا أسبانيا تركوا السكان يتمتعون بحريتهم الدينية ، محتفظين بمعاهدهم ورئاستهم غير مكلفين إلا بدفـــع الجزية ، وهي بمقدار ما كانوا يبذلونه لملوك القوط . وقد بلغ من

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٩ .

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام ، كامل سلامة الدقسي ، ص٣١٣ .

تسامح العرب طول حكمهم في أسبانيا مبلغًا قلما يصادف الناس مثله هذه الأيام[1] .

ولو نظرنا على ما فعله ويفعله « اليهود » قاتلهم الله تعالى في فلسطين الجريحة من قتل وتشريد وظلم وبطش وعدوان . فنظرة اليهود الدينية إلى غير اليهود تشبه نظرة الإنسان إلى الحيوان . فقد جاء في الوثيقة الرابعة من وثائق اليهود التاريخية حيث ورد من ضمن ما تضمنته هذه الوثيقة قولهم ما يلي : « يا أبناء إسرائيل ، اسعدوا واستبشروا خيرًا ، لقد اقتربت الساعة التي سنحشر فيها هذه الكتل الحيوانية في اصطبلاتها ، وسنخضعها لإرادتنا ونسخرها لخدمتنا »[2] .

ولو تجاوزنا اليهود والنصارى إلى الملحدين من أهل الأوثان لرأينا ما تقشعر لهوله الأبدان . فقد روى ابن كثير فيما رواه من أحداث عام «٦٥٦هـ» عندما تغلب مشركوا التتار على المسلمين في بغداد . فقد شنوا حملة حقد وتعصب وظلم وطغيان ، فأبادوا الرجال والنساء صغارًا وكهولاً ، وفر من فر من الناس إلى المقابر ، وأغلق البعض منهم على نفسه في الحانات ودخل البعض منهم في قنا الأوساخ . ولكن القلوب المسعورة في حب الإجرام وإراقة الدماء ، والمملوءة بالحقد والكراهية على أهل الإسلام . طاردت كل هؤلاء ، وبواسطة بعض أهل الذمة من اليهود والنصارى ، والذين تنكروا للمسلمين لما قدموها لهم من حسن المعاملة واحترام الحقوق . ولم يمض على مذبحة بغداد أربعون يومًا حتى أصبحت خاوية على عروشها .

---

(١) حضارة العرب ، جوستاف لبون ترجمة عادل زعيتر ، ص٢٧٩ .

(٢) مكايد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن الميداني ، ص٤٤٦ .

وتراكمت الجثث كالأطواد في الطرقات ، ثم سقط المطر عليها فانفتحت وتغير الهواء وحصل الوباء[1] .

وبروسيا وما فعلته الثورة الشيوعية بالمسلمين في بخارى وسمرقند وغيرها من الولايات الإسلامية ، حيث أقدم الشيوعيون على قتل كل من يتفوه بكلمة : (لا إله إلا الله) . فقد نشروا في عام « ١٩٢٣م » : أنه يوجد داخل الاتحاد السوفيتي ثلاثون مليوناً من المسلمين يحافظون على عقائد باطلة وخرافات من العصور الوسطى ، وإننا قد اتخذنا الخطط والتدابير اللازمة لإزالتها . وقد سارت يوغوسلافيا على طريقة روسيا بعد تحويلها إلى الشيوعية ، فقد أبادوا « تيتو » ما يقرب المليون من المسلمين ، وما قضية البوسنة والهرسك « وإقليم كسوفا » في وقتنا الحاضر إلا أنها حرب شرسة وإبادة ضد المسلمين دون هوادة من الصربيين أعداء الأمة الإسلامية .

إن ما ذكر عن مواقف أعداء الإسلام والمسلمين ، عند تمكنهم من أهل الإسلام ، غيض من فيض ، قطرة من بحر ، وهذا كله مصداق لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعلقون** ﴾[2] .

إن من تسامح المسلمين مع أهل الذمة والمستأمنين أن يطبق عليهم في المحاكم قانون الأحوال الشخصية المنبثق عن عقيدتهم في قضايا الزواج

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، جـ٣ ص٢٠٢ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٨ .

والمهـــر والأولاد والنفقة وما إلى ذلك . بينما نجد أن المسلمين الذين يقيمون فـــي بـــلاد الغـــرب والشرق الكافر لا يطبق بحقهم قانون الأحوال الشخصية للمســـلمين ، وإنما يطبق بحقهم القانون المحلي لتلك الدولة وتلك البلاد . فلو تـــزوج المســـلم بأكـــثر من زوجة واحدة ، فزواجه باطل بمقتضى قوانينهم الوضعية ، وقد يحاكم كمجرم . أما لو زنيا برضاهما فلا شيء عليهما[1] .

ومـــع ذلـــك وللأسف الشديد يصف « الببغاوات » الإسلام والمسلمين بالتعصب ، والتشدد ، والجمود ، والتطرف ، وكبت الحريات . بينما يصفون أجـــنحة المكـــر الـــثلاثة « النصـــارى ، واليهود ، وأهل الأوثان » بالتسامح والاعتدال والمحافظة على حريات الأفراد وحقوقهم . فيا ترى من الذي يشهد له الواقع ويصدقه التاريخ نحن المسلمين أم هؤلاء الحاقدون[2] ...

---

(١) نظرية الإسلام وهديه ، أبو الأعلى المودودي ، ص١٨٨ .

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس الجلعود ، ص٥٦٢ – ٥٧٢ .

obeikandl.com